للشاعر الاديب المرحوم فرنسيس فتح الله مراش الحلبي

طبع بالمطبعة الكلية في بيروت سنة ١٨٨٢
بنفقة الخواجات ابرهيم صادر وايليا باسيل

حال الكون

وجودٌ لاحد لهُ ولا مدى . وبدءٌ ليس لهُ ابتدا . يفوق طور العيان فلم يرهُ بشرٌ قط . ويسمو علي ادراك الاذهان فلا يمثلهُ الاَّ ذاته فقط . حتى اذا ما لح كمالاته المجده . واستطلع عنايته المؤبده . اوحى الى الابواب السرمدية فانفتحت . واوعز الى غوامض الحركة فاتضحت . فاندفع الغبار الكونيُّ من تلك المصارع الدهريه . وانتشر في هاتيك العرصات الابديه . واذ تبلبل بعضه تسلح بالتجاذب . وحمل حمل التحارب . فانطبق [illegible] قرينه بالالتصاق . طبقَ ايعاز الخلاق . فنجمت العوالم الكرويه . شموسًا وكواكبًا دريه . وانطلقت ثانويَّات تلك الملاحم الكونيه :

اجيجٌ شب من صراع ذلك الجم النفير . فاحرق دقايق الاثير . حتى انبجس نور الاحتراق . وانار غسق الانطباق فكانت الحرارة في الاكوان . بظهور النور للعيان . ولما استكملت تلك البخاريات جمادًا . بعد اتقادها اجيالاً وامادًا . نضجت نضوج الثمر في الكمام . وانشغل الفضاء بالاجرام . وهاكَ منها البعض . كعطارد والارض .

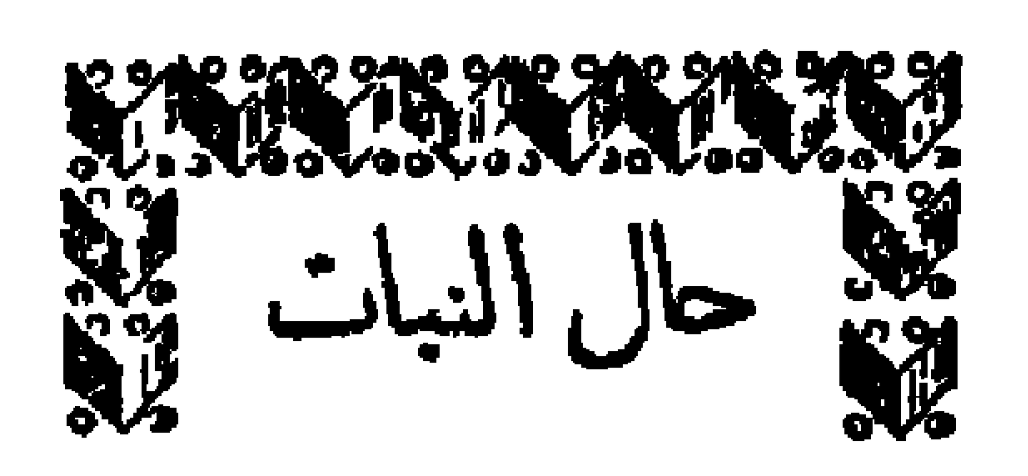
ولما اصدرت الحرارةُ عنصرَ الضوء . تمازجا فانبثقت منهما كهرباء الجو . فهاك ثلاثة متوالده . فمن في ذاتٍ واحده . فتحصصت الكائنات وتحركت الساكنات . وتنوعت الحركات وتجنست . وتفاقمت

الاثار وتكردست . واذ لاحت الارضُ لتلك المؤثرات صلعاء قفرا قالت فلنكسها باذن الله جمال البردة الخضرا . فانضم عنصرُ الناريّات النواهض . واتحد اصل الماء باصل الحوامض حتى ترتبت الاصول فتداخلت بالاتحاد . وتفاعلت على بعضها المواد . وهكذا نهضت الحيوة بين تلك الاصول الراقده . فنبهت الى النمو والحركة سواكنَ الذوات الجامده . فهبّ النباتُ للحال من وراء تلك الفواعل الغارسه . حتى اخضرت اليابسه . واصبحت الوحشية مانوسةً وانسه . فما كان الله ليرضى ارضًا بلا سكن . وقوتًا بلا بدن . ولذلك دعى تلك القوة الحيوية الى التعاظم . ونبهها الى التراكم . فتعاظمت القوة الحيوية وكملت وشملت اصل الحركة وحملت . حتى انتشرت النطفة الحيوانيه . بعد استكمالها مقومات البنية العضوية . فاخذ الحيوان يتجمل ويتكمل . ويتوالد ويتسلسل . ولما تعدد انواعًا . طلب اشباعًا . فحمل كلٌّ على قريبه حمل البعول . حتى برزت المسوخُ والغول . وهكذا حمل الهواء جانحه . والماء سابحه . والتراب سارحه . ولم يلبث ان خلق الله الانسان . فكان علم الاكوان .

حال الجماد

نزاعٌ دائمٌ في دقائق الجماد . وصراع لا يفترلهُ اتقاد . فاذا انطبقت العناصر تصاب بالجمود والقرار . واذا تخللت انتشرت او سالت الى اهوية وبخار . فالصخور تحلل والمياه تتسلسل والهوى يتبلبل فحراكٌ لا

يقف مداره . وعراكٌ لا يقر قراره . وبــذلك تحترق المعدنيات . فتنهضُ المرتفعات . وتــذوب الجامدات . وتجمد السايلات . وتفقد العيون سلسالها . وتزلزلُ الارض زلزالها . وهكــذا لا يزال الجماد بين اجتماع وانفصال . وسلام وقتال . ولا تبرح الحركة بين اقتراب وابتعاد . وخمود واتقاد . حتى تقوم الكائنات المختلفه . وتبرز الاصولُ المتصفه . بالحيوة والثوران . كالنبات والحيوان



حال النبات

فهبَّ النبات من مرابضه الحبويه . وانتشر على سطح الكرة الارضيه فتوّج الجبال ووشّح التلال . وظلل المنحدرات والوديان . وجلل السهول والقيعان . فتكلل الشجر بالسحاب . والتحف النبت بالضباب . وما زالت الطبيعةُ تفلح المثوى . والارضُ تصلح المأوى . حتى تنوعت الاجناس وتحددت . وتفردت الانواع وتعددت . فذهب النوع يحمى ذريته . والشخص يحفظ بنيته . فاعضاءٌ تهتم بالتثبيت والتشييد واخرى تخدم للتوليد والتجديد . واجزاءٌ تردُّ غارات التقلبات . والات تردع طبايع المؤثرات كتضعيف اشتداد الضو . وتلطيف كثافات الجو فالزهور تبتسم عن اصول الحيوة القوتيه . والجذورُ والاوراقُ تستقي

وتنتقي المواد الغذويه · على حالة البهيميه · فيتقوم الجهاز العضوي
ويتشيد البنيان الحيوي · ليكون طعاماً للحيوان ومقاماً للانسان ·
فكانَ النباتُ طباخَ الاكوان · والحيوان اكال الالوان · ولما كانت
الحيوةُ عرضةً للعوارض · وموقعاً للقوارض · جعلت اجناد ذلك
الوجود الاكبر · تغذو قوايم هذا الكون الاخضر · فبينما الجزوع ثبهُ
بقاماتها النضره · والاغصان تزهو باوراقها الخضره · والرياضُ تبتسم
بازهارها لدى سقوط الانداء · والغياضُ تهتز بادواحها رافلةً
بمطارف الافياء · يهبّ الجو عليها براعات اهوائه · وساحات انوائه ·
فتنقضّ الصواعق اخذةً بالجزوع فتصابُ بالهجوعُ · وتفتك السيول
بالجزور · وتنثر عقود الزهور · فيا ان الكل يكون ملاعب الحوادث
الجماديه · وفرايس الطبيعة الحيوانيه · لاخراجها عن فصلها وايلاجها
في اصلها

حال الحيوان

ولما استكملت الحيوة اتقانه · واحسنت القيام احسانه · تحركت
على الارض فكانت حيوان · وانتقلت بالارادة الى كل عيص ومكان
فربض الوحشُ في الاحجار · وسكن الطيرُ في الاوكار · ونام السمك
في الابحار والانهار · وهكذا سار البعض على الاربع وساح · والبعض
خفق بالجناح على الرياح · والبعض في الماء سباح · ولما على مايدة الحيوة
امكن التقاء الشديد بالضعيف · والثقيل بالخفيف والكبير بالصغير

والطويل بالقصير . انشأ الكل قتالاً وخصاماً . فكان كلٌّ لسواه طعاماً . وهاك انياباً تمزق تمزيقاً . ومخالباً تشتق تشقيقاً . واظفاراً تنشب نشباً واطرافاً تضرب ضرباً . فعراك عظيم لا يخمد شراره . ونزال اليم لا يفتر اواره . والموتُ يفتك فتك الشحيح . وهو خاتمة الجميع

حال الانسان

ولما تم الانسان في جنسه . وعلم علم نفسه . نظر الى الكائنات فادركها . ووجد وراء المعرفات فادركها . حتى اذا ما اطلق على المحيطات به نظر المتقد . وميز الاشيا وفصلها بفكره المتقد . ما لبث ان مد على الكل ظلال رايته . واخضع الجميع تحت رياسته . واذ اخذته جائحة الطمع . وغلبت عليه ملكة الولع . وهام بحب الذات وبالفوز على الذوات . ثارت الموجودات عليه بطبايعها . ونهضت ضده الاكوان بشرايعها . واخذت تدافعه وتصارعه . وتطالبه الوجد وتنازعه . فنضى سيف حكمه وحكمه . واخضع الكل تحت قدمه . فكان غلبة غلبةً عليه . وادراكه مصيبة لديه . لا سيما اذ عرف الزمان وميز بين الان والاوان . فغدا يصارع الحاضر . ويرتعد من المستقبل ويأسف على الدابر . فراحت الحوادث تطارده والايام تعانده حتى اصبح هدفاً للاحوال . وعرضةً للاهوال . تارةً يهيمُ بطلاب المسرات . وتارة يضج في حرب المضرات . وبينما الملذاتُ تحيط بقلبه . تحدق الالام بلبه . فما ابتسم الاَّ وبكى . وما شكر الاَّ وشكى . واذا فرح بضع ايام .

حزن بعض اعوام. فلا بد لا فعاله من رد. ولوصله من صد. يرى الدنيا ذهاقًا بالملذات ولا تسقيه سوى الآفات. فيعيش فريسة لآماله. ويموت خايبًا من كل اعماله. وهاك هذا المقال. منسوجًا على ذلك المنوال.

صاح بي الدهرُ فاتبعت مسيرهْ لارى اين اين اين مصيرهْ
ظل يحدى ظعني على الارض حتى ظلع الظعنُ والطريق عسيرهْ
قلتُ يادهرُ هل قراري بعيد قال لي انظر بعينك الشريرهْ
فتأملتُ اين سرنا وصرنا واذا نحنُ وسط ارضٍ كبيرهْ
قلتُ هذا المقام قال نعم قا تُ وماذا يدعى فقال الحيرهْ
قلتُ لا خرتُ ذا فحلاق مغتا ظًا كوحش باعين مستديرهْ
قال لي صه ياعاصيًا فهنا قد سقمتْ كل الورى فما لك خيرهْ
قلت اني ولم اجد غير قفرٍ فيه ابكي وحدي دموعًا غزيرهْ
قال ما انت وحدك اليوم باكٍ كل عينٍ بدمعها مغمورهْ
انما المرء لا يرى غير بلوا هُ فلابن الانسان عين قصيرهْ
فتمعنت برهة واذا الاشيا ء بانت لباصري والبصيرهْ
قد رايت الانسان ملقى على الار ض كملقي بحرٍ بقفرِ جزيرهْ
تايهًا بايسًا ودهر الشقا يد عوهُ في التيه ان يكون سميرهْ
يطلب النصر في منازلة البو سى وهيهات ان يصيب نصيرهْ
واذا ما الآمال سرّتهُ فالخيـ بة تاتي لكي تزيل سرورهْ
كل نفس مطلوقة اسر قصد وبقيد الصروف اضحت اسيرهْ

فدموعٌ تهلُّ من كل عينٍ ترمق الدهر وهي منهُ ضريره
وقلوبٌ تضج في لهب اليأ س من الفوز بين غير وغيره
فملوكٌ تدور في طلب الملك فتمسى على الفنا مستديره
يستثيرون جمرة العنف والدنـ يا عليهم نارَ العفاء مثيره
ورجالٌ من كل صفٍ وصنفٍ وذواتٌ من كل شانٍ وسيره
كلهم راقصون في مرسحِ الدنـ يا وكلٌّ يبكي بعينٍ كسيره
وكذا الكل منشدٌ نغمة العيـ ش ويشكو سرورهُ وشروره
فجميع الانام راكضةٌ ركـ ضاً الى القبر وهي عنهُ نفوره
عند ما هذه الجرايح بانت لي ودهري افادني تعبيره
قلت والله لا طربت بعيشٍ في زمانٍ انا غدوتُ حبيره

حال الرجل

فولج الرجل في الدنيا . حاملاً على كاهله البلوى . فكانت لهُ بئس المأوى . ايان اندفع يفلح الثرى . ليستنبت القوت بالشقا . فيجبي بادل القوى . وما بدون ذلك يجبى . ولاحيوة من السوى . فسقى الارض من عرق الجبين وروى . وبقوته شددها وقوى . فانبتت لهُ الخبز واعارتهُ الحمى . وانالتهُ الداء والدوا . واحلتهُ المحل الاعلى . فارتقى وتعلّا . وسعى في سبيل الكدح واعتنى . فحسن لديه المسعى . وطاب لهُ المرعى . وما زال ان تصلف وطغى . وعلى الخليقة بغى . فدك الاطواد العليا . ونسف ثبيرا ورضوى . ليمهد المشى فيبلغ الاقصى

ويقصر المدى · واقتلع الشجر الاقوى · وفطر الصخر الاقسى · ليبتني السرادق والمغنى · فينعم في ظل المأوى · ونحر الانعام ليشبع ويتقوى · واستخدم البهايم ليتساط ويعلى · حتى اذا ما على الكل استوى · وامدَّ حكمه حتى الى السهى · نهضت ضدهُ الدنيا · وشنت عليه غارات البوسى · فانكرته النعمى · فارتدَّ يخبط في البلوى · ويهيمُ في وادي الردى · على طريق الفنا · حيث يرجو المنى · من ايدي المنى · حتى جعل يضجُّ بالشكوى · ويطلبُ الخلاص فلا يعطى · فذهب يستوجد اقدارا وقضى · ويستوجب احكام الخفا فامل وترجى · وبالاوهام تملى وعلى المحال دنا وتدلى · فلولا الرجا والذكرى · لنجعَ بنفسهِ وقضى · والى ربه مضى

ماذا تشاهد في دنياكَ يا رجلُ ماذا ترى في وجود كله وجلُ

ذا مرسحٌ في خباهُ الدهر يلعب ما يستحضر الصاحبان الياس والامل

حكمت في الارض مطلوق اليدين فلا يعصاك بحرٌ ولا سهل ولا جبل

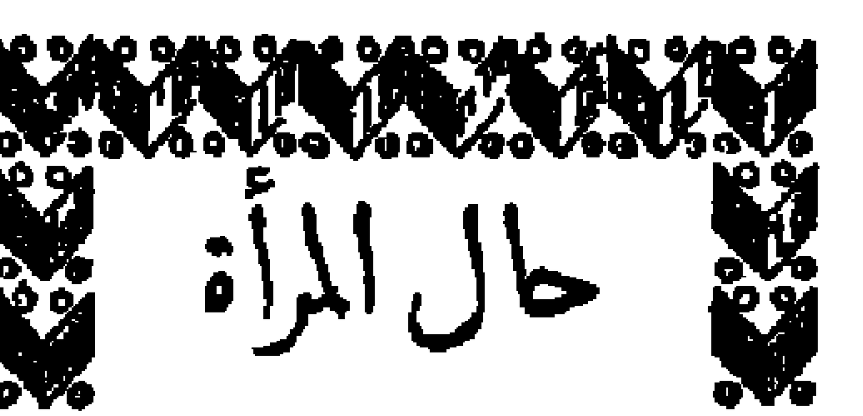
كل الخليقةِ قد القت ازمتها في راحتيك فانتَ السيد البطلُ

فما لعينيكَ تبكي وهيَ راضيةٌ وما لقلبكَ يشكو وهو مبتهلُ

خلقتَ للكدِّ في هذه الحيوة فكن ما شئتَ سيان منك الكدُّ والكسل

وقد سلكت على هذا الثرى هدفاً لكلِّ ضيم فلا ريثٌ ولا عجلُ

لكلِّ سن هموم للفتى وعنا لا ينقضي الهم حتى ينقضي الاجلُ



حال المرأة

ولما استوت الطبيعةُ على كيانها . وتمكنت في بنيانها . طلبت الحافظ على دوامها . والذبَّ عن قيامها . فكانت المرأةُ ظرفَ تلك الظروف . وغصناً داني القطوف . فبادلت الرجل نظرات الاقتراب وغازلتهُ مغازلة الاحباب . فرتع في رياض جمالها . واقتطف ثمراتِ كمالها . حتى تما وظايف الاقتران . وحفظا نوع الانسان . وقد أشير الى ذلك في ثمرة العصيان . فحبلت المرأةُ وتوجعت . وتمخضت وتجعت . فاندفعت الى التربية والرضاع . وتهذيب البيت والمتاع . بينما الرجل يفلحُ الحقول . ويستغل البقول . ويكدح ويكد . ويجهد ويجد .

ولما اغناها شانها عن المتاعب الدنيويه . والمصاعب الارضيه . وقعت في هموم الهجس . وغموم الهدس فتطلبت الحلى والحلل . وهامت بالرقة والغزل . لتختلس نظرات النواظر . وتسترق خطرات الخواطر . حتى اذا لم تنجح رغابها . ولم ينجح طلابها . رجعت بصفقة المغبون . ذارفة عبرات العيون . وتنظر الى المرأة نظر المتعجب . وتقول كيف هذا الجمالُ قد غُلب . واذا ظفرت بالمطلوب . وانتصرت على القلوب . تاهت بفوزها وتباهت . وبدلالها تناهت . وكلما دنت فاستدنت . ولوت فاستولت . وللتصابي اولت . واذا نفيس نفس اهملها . وفي غرورها امهلها . رِجعت فاسترجعت . ونجعت فاستنجعت . ولم تزل بين ورد وصدر . وبيان وحسر . الى ان تسقط دولة ذلك الجمال الباهر . وتذبل زهرة ذياك الشباب

الزاهر فتعود تصدع الاذان بقصص صباها . وسير مرباها .
تشتغل حينئذ الا بجمع الاشباح . وبتفريق الارواح فتصبح خابطة
خبط العشواء وضايعة في الغارة الشعواء .

الحسن في الوجه سريع الزوال فلتعلم الحسناء ذات الدلال
الحسن سلطان يسود على عرش الصبا فان يزل ذاك زال
يصبح في عجز فتصدمه وكم وكم سطى علينا وصال
اليوم وجه حسن وغدا يلبس هذا الوجه اقبح حال
فتختفي انوار ذاك البها وتنطفي جمرة ذاك الجمال
السيف ينبو والقنا تنحني وليس يبقى للنزال رجال
يا ربة الحسن جمالك لا يدوم الا كدوام الخيال
فحسن وجه ذاهب كالهبا وحسن طبع راسخ كالجبال
فجملي الطبع وحلي النهى لتقتنى الحسن العديم الزوال
هذا هو الحسن البسيط وما للجوهر البسيط قط انحلال
لا ينفع الفرع اذا لم يكن للاصل نفع كيف صال وطال
الفرق بين الفرع والاصل مثل الفرق بين الدين والراسمال
فليحذر الافلاس من لم يكن ذا راسمال والدوام محال

اما المراة فهي جوهر بديع البنية واللطافة . يشف عن كل رقة
وظرافة . ولذلك فهي شديدة التاثر . كثيرة التفكر . سريعة التذكر .
ولها في الفهم عقل دقيق . وفي العلم ذهن رقيق . الا انها بطيئة
الاختراع والتبيان . سريعة السهو والنسيان . ولشدة تاثرها . وغموض

تبصرها ، كانت حليفة الجبانه . سهلة الامانه . ومن شانها حفظ الوداد والادب ، وسرعة زوال الغضب ، فلقلبها الوفا ، ولطبعها الصفا . وبالاجمال انما المراة جوهر الانسان . واجلُّ كيان . رغم كل عدوان .

انمـا المرأة للمرء نصيب	وشريكٌ ورفيقٌ وحبيب
لا يطيبُ العيشُ الاَّ معها	كل عيش دون إلف لا يطيب
واذا ما نكدت عيش أمرءٍ	ليس تبقى فهى داءٌ وطبيب
ما دعى تنكيدها يومًا سوى	رجلٍ عن معشرِ الانثى غريب
واذا ما عقد الدرّ على	عنق بغلٍ لاح فى لون كئيب
وكذا الزنبقُ ان قربَ من	انف تيس عادَ في ريح كريب
هكذا كل لطيف فاقدٌ	لطفه بين كثيف ومعيب
فاعلموا ياعلمـا ياشعرا	ياصفوفُ الناس ياكل اديب
ان كل اللطف والظرف لقد	جمُعا في ذلك الجنس العجيب
ايها الجاني على مرآتهِ	انت واللهِ من الذوقِ سليب
بئس من يفتكُ بالانثى فما	هى الاَّ مثل شاةٍ وهو ذيب
ايُّ فضلٍ لصقورٍ فتكت	بحمامٍ او لليث بربيب
واذا سلطكَ الطبعُ على	جسمها فالعقلُ سلطانٌ مهيب
من غدا محكوم طبعٍ ناشف	بات مرذولا من الطبع الرطيب
انما الزوجانِ ما بينهما	حقُّ عهدٍ متساوٍ لا يغيب
فعلى ذي العهدِ ان يحفظ ما	اوجب العهدُ وان خان يخيب

حال الطفولية

هذا هو الدور الاول لحيوة الانسان · والغلوة الاولى في طريق الزمان. حيثما يقال للداخل طفلاً مولودا . وللخارج شيخًا مفقودا · ولما كان الانسان في هذا المدخل عديم البصيره · خالي السريره · عاريًا من كل الكمالات الادبيه · غير حاصلٍ على تمام الوظائف العقليه · فلا يري الا ما يقوم قربه · ولا يشعر الا بما يستعطف قلبه . فيلعب بالتراب ويذريه · ويعبث بالتبر ويذريه · و يسخر بالمقبولات والمردودات ويضحك على كلّ الموجودات · فلا يهتم الا بطلب الغذا · ولا يحفل الا بما يورث الاذي · واذ لا يبرح طايشا بخفة بنيته . وضايعا في تيه نيته . فلا يسمع دويّ ضوضاء العوالم · ولا رويّ قوافي العظايم . بينما يكون باكيا تحت تاثيراتها وفواعلها . ومتحركا وساكنا تحت جوازمها وعواملها · ومسرعا في طريق حياته الى الدخول في ابوابها · والغوص في عبابها · فليت عينيه تري ما يستقبله من الاوصاب · وما يستنظره من الاتعاب فما الثدي الا رمز الردي في طلب القوت · وما المهد الا اشارة التابوت ·

حال الفتوة

هذا هو الدور الثاني للحيوة الانسانية · والمساحة الاولى لانتشار القوي العقليه · او التل الاول فى طريق الاجل · ومسلك العمل فيصعد الانسان عليه وينظر العالم بعينيه · فيراه مشهداً بديع الجمال ·

ومرسحا تلعب بهِ الامال · وترقص فيهِ الملذات والاماني · وتحوم حولهُ البشاير والتهاني . فتشملهُ شمول هذا الظهور · وتلعب براسهِ حمية هذه الامور · فيبات سكران بالافراح · وماخوذاً بزبين تلك الاقداح · فيبسمُ مدي الاوقات · ولا يعلمُ ما الافات . اذ يظل ملتفاً بكساء الامال . ومحتفاً باوهام الاعمال · فلا ينظر الا الى ذاته · ولا يحفل الا بصفاته . هايماً في ملاهي دنياه . ومتهافتاً على حداثة قواه . وهكذا فيهبط في وادي هذا العالم الملم · ويخبط في ذلك البحر الخضم · ولا يزال بين هبوب وانكباب · الى ان ينشلهُ الصواب ويدركهُ الشباب

حال الشبوبية

اما الشبوبية فهي الدور الثالث للاجل · ومحل الكد والعمل · وموقع الياس والامل · حيثما يوجد الانسان ضائعاً في مفازة العمر حائرا في تنوفة النهي والامر . فيرى نفسه قايماً في وسط هذه الدنيا . ممنطقاً بكافة الاشيا . ملتطماً بامواج العالم واهوائهِ · مصروعاً وماخوذاً بضجاته وضوضائه · وهكذا فتنهض في قلبه ثورة الحواس · وتشب في دماغه نار الوسواس · وتصفر في سريرته ريح الاهجاس · فيندفع الى منازلة الاقدار والايام · ومقاتلة الحقايق والاوهام . فتارة تهبُّ به الامال الى اوج الافراح والمسرات · وطوراً تكبُّ به الخيبات في حضيض الاتراح والحسرات · يرى العالم قريب المنال . فيندفع وراه على متون الاهوال حتى اذا ما ظفر بالبعض طمع بالكل . واذا فاز بالشبع رغب في الظل

فلا يكون الا مضغة في افواه المطامع . وكرة تتلقفها القوامع . ولذلك انما يوجد مهبطاً لحوادث الحدثان ومسقطا لمكاتب الزمان . ولا تزال زهرة هذا الشباب الزاهي بين ذبول وافترار . ولا يبرح بدر هذا العصر الباهي بين خسوف واسفرار . الى ان تنثر الشيخوخة تاج تلك الزهره ويصفع الهرم وجه هاتيك القمره . حيثما يسقط الشباب من فرشه . ويرتفع المشيب على عرشه

حال الشيخوخة

ان حياتنا هي بخارٌ يتصاعد قليلا ثم يضمحل . نعم . كلٌ يضمحل كالضباب . حتى الجبال تمر مرَّ السحاب . فلا دوامٌ للوجود ولكنما العدم محال . ولا طمعٌ في الخلود . فكل مركب للانحلال . فلا يزال الانسان سايراً في طريق عمره سير المسافر في القفار . الى ان يبلغ رابع الادوار . وهو دور الدثار . هذا اذا امكنه الخلاص من لصوص الحوادث . والمناصُ من اُسد الكوارث . ونهبة الاعراض . وقتالة الامراض . فيلبث هناك منهوكا من تعب المسير . ومضض التاثير . اذ يعود منحنياً تحت احمال الحياة واثقالها . ومرضوضاً من صدمات الدنيا واهوالها . فتصمتُ ضوضاء حواسهِ وهواجسه . ويخرس رنين انفاسه ووساوسه . فيكف بصرهُ . وتجف فكرهُ . ويقل ذوقهُ . ويكثر شوقهُ . ويبخل حتى بالفلس . ويزيد حرصهُ على النفس . ويجود بالقلس . فاذا التفت الى ورائه ورأى الدنيا التي قطعها والطريق التي

تتبعها . ظهرت له الاشياء اشباح احلام . ومراسح اوهام . وكلها تجرى نظيره الى الزوال . كالطيف والخيال فيضحك على الجميع . ضحك الطفل الرضيع . اما اذا التفت الى الامام . وطمع ببقية الايام . حنّ الى الوجود . وهام بحب الخلود . ولا يزال الماضي يدفعهُ . والحاضر يردعهُ . والمستقبل بطمعهُ . حتى تختطف يمامة نفسه بزاة المنية . وتسلبهُ كل بغية وامنية . فيهبط هبوط البنيان . ويغور في قبر النسيان . حيثما تسترجع الكليات جزئياتها . وتسترد المجموعات مفرداتها

حال العيلة

ولما اشعر الانسان برسوم وجوده . وادراك لزوم حدوده . انف الشتات والانفراد . وطلب الزواج والعقاد لينفصل عن هيئة الجهل ويتصل الى اداب العقل . وفاقًا لامكان نفسه . وخلافًا لعجز ساير جنسه . فعاهد زوجتهُ على حفظ العهد . وحالفها على دوام الود . وعلى قيود هذه الشريعه . اخذا يلحان الطبيعة . فجادت لهما بالاولاد . وطبعت بهم لهما الانقياد . فحنّ الاب الى بنيه . ومال الابن الى ابيه . وبقيام تلك الاحوال . تقومت الاعيال . وتبادلت بينهما الاميال . وهكذا فالمودة الاقترانية . والمحبة الوالدية هما اركان العيلة والذرية ولذلك فالنمو يحرض الافراح . والنقص يحضرُ الاتراح فيأنُّ الويل للمفقود . ويرن الهناء للمولود . وما تلك الاعمار الطوال . الا حيوة اسماء العيال .

حال الهيئة الاجتماعية

ولما تنوعت العيال . وتبادلت الاميال . اخذت كل عيلة تتقرب من جارتها بالزواج . وتقايضها في ادوات النتاج . فاشتدت الروابط بين البشر . وانتصب عمود الوطر . وشرع الناس يحاضرون . والى بعضهم البعض يسافرون . حتى تشيدت بينهم المعاملات . وتمكنت المبادلات . فكثرت الحاجات الانسانية . وتفاقمت الضرورات البدنية حتى التزم هذا الى ذاك . واحتاج ما هنا الى هناك . وما لبث ان انتظم نثار البشر . وانضم البدو الى الحضر . وهكـــذا قد استحدث الانسان شرايع الانضمام . وانشأ مواطن الالتئام . فنهضت مطامع النفوس . وحامت السعود والنحوس . حتى ثار الناس على بعضهم البعض . وجعلوا يسقون بدمائهم الارض . فساد هولاء واغتنوا . وافتقرا ولئك وعنوا فقامت الملوك والروساء . وتمكنت الاسياد والامراء حتى لقى الانسان ما جناه . وهلك بما جناه . اذ اضحت الروس ثم هشم تحت مطارق السيادة . والافكار تضل في مناهج القياده . واخذت الانسانية بما ابدعت من المتاعب . ورجعت تشكو صروف المصائب فما مصائبها الا ماربها . وما اوجاعها الا اطماعها . ولما احتاج الانسان الى لوازم الحيوة الاجتماعية . وبواعث السكنى الانتظامية . افضت به الضرورة الى التمدن والالقاب . ولجم الطبيعة بالاداب . ليحسن نظام الجماعة في سلك الاتصال . وتتسهل سبل الافعال والاعمال

وتميز الاشخاص المجتمعة . وتتهذب الاطباع المندفعة . وما زال الاجتماع آخذاً في ازدياده . والنظام سالكًا في انتقاده . والضرورة تجهد المجرى والعقل يجدّ بالمسري . الى ان اتصلت القبايل بالقبايل . ولحقت الاواخر بالاوايل .

حال البلاد

واذا نظرت الى البلاد وجدتها تشقى كما تشقى الرجالُ وتسعدُ ولما سكن الانس فى الانسان . وجمع بين اشتاته الاقتران . انف البادية وأبى . وألف الحاضرة وصبى . فجعل ينصب المداين . ويغرس الجناين . فعوّض الخيام بالقصور . والدمن بالزهور . والاوتاد بالدعايم القوايم . والاطناب بالقناطر العظايم . فيتحاشى غوايل الاخطار . وسوايل الامطار . حتى اذا ما اشتغل بمحل دون اخر . حيثما التمام اثر . هرع اليه الجوار . واخذوا يستزيدون العمار . واذ اتسع المحيط . وعظم الخليط . قيل بنى الامير المدينة اودخل نوح السفينة وهكذا تنشا البلاد و ينتظم شمل العباد . وبقدر اهمية المركز تتسع الدائرة . وعلى قبول تلك السعة تقبل الزايرة . وربما اصبحت المدينة مقامًا عميًا . او عالمًا عظيماً . اذ تعود مشهداً لعجايب الخليقة . ومحل كل وهمٍ وحقيقة . فتموج فيها الناس موج البحور . وتصب اليها الركبان صب النهور . وترنّ في اسواقها قعاقع الالات . وتحتبك في شوارعها معامع المركبات وتنفتح ساحاتها لدخول الملذات والالام . وتنطبق قاعاتها على عجاج

الغموم والانغام . حتى تجمع بين الافراح والاتراح وتوالف بين
الفساد والصلاح . فتكون مرسحًا لضوضاء البشر . وموقعًا لوقايع
الصور ولم تزل تتقوّى تلك القوة . وتتعظم تلك السطوة . الى ان
يحقد عليها الزمان . وتنهرها طوارق الحدثان . فتاخذ بالرجوع
القهقري . ونقصان العبقري حتى تصبح رمةً في البوادي ومندب الرواح
والغوادي وهاك بابل ونينوى وصور وما شا كلها من ربات السور ومن
يعلم ما ستاۤول اليه مدينة باريس . هذا المقام الاعلى والبلد النفيس . حيثما
انا الان اسحب مطارف المرح واحسى كؤوس الفرح متمنطقًا بعجايب
الاثار ومنشدًا على قوس الانتصار

موشحًا

بان في باريس لي كشفُ السما فوق قوسِ النصرِ لا في بطمسِ
حيثما عاينتُ فيها كلما طابَ للاعينِ او للانفسِ

دور

يا اخا الذوق على ذا القوسِ قف وارسلِ الطرفَ الى كل الجهات
والزمِ الحذرَ فكم طرفٍ خُطف عندما استعلى على ذي الباهرات
فترى كل جلالٍ لو وصف مثلَ الثابتُ فوقَ السايرات
كل شيء حيرَ العقل كما حارت الافكار بالملتبسِ
واعاد الكفَّ يزجي القلما ما الاقلامِ هنا من ارؤسِ

دور

غير رسم النور ما جال هنا مصحبًا مرآتهُ المستظهره

انما المرآة تستجلي لنا ورق الغصن وتخفي الثمره
فكساقٍ نحوَ ظامٍ قد دنا حامل الطاسات دون المطره
ياصحابي يمموا هذا الحمى انتمُ السارين تحت الحندسِ
تغنموا الصبح وتعطوا علم ما كل نطقٍ دونهُ في خرسِ

دور

انني قد جئتُ باريس العلا ورأت عيناي ما قد سمعت
شمتُ ما لا نظرت عيني ولا سمعت اذني ولا روحي وعت
آه ما هذه المباني والملا هل بروجٌ ام نجوم طلعت
كل حي ام جمادٍ قد سما وبثوب المجد والكبرِ كسي
مشهدٌ يسطو على العقلِ بما فيهِ من ايٍ بها الدهرُ نسي

دور

مشهدٌ هيهاتَ يجلى للعيان سره ما لم تجل فيه الفكر
انما الظاهرُ حظ الحيوان بينما الباطنُ حظٌ للبشر
كل شيء لكَ في ذا الافق بان يقتضي درساً طويلاً وسهر
فهو من ابداعِ فكرِ العظما في زمان الغال لا الاندلسِ
لو اتى هذا الزمان القدما ضرسوا ايديهم بالضرسِ

دور

ادر الطرف على هذا الامد وتامل ذي الدراري الزاهره
والانابيب التي مثل الغدد تفرزُ النور لتغذي الباصره
وانظر الشهب المنيراتِ الجلد كيف ترنو بعيونٍ حائره

غُلِبَ الليلُ هنا فانهزما وتوارى في عباب الاطلسِ
فالسماءُ الارضُ والارضُ السما ها هنا فاعجب لذا المنعكسِ

دور

وترى كلَّ رداحٍ للغرام وُضعتْ وهيَ عليه تحملُ
ذات قدٍّ هو للحسن المرام صنمٌ والردف منها هيكلُ
اين من عندهُ كالخوط القوام وكتلِّ الرمل ردفٌ عبلُ
ايها الشاعرُ ذرْ هذه الدُمى تكتسب منهنَّ طيبَ النفسِ
هنَّ في باريس علم العلما ولكلِّ الناس كلُّ الهوسِ

دور

ما بدت باريس في هذه السنا قط لولا حبُّ تجميع النشب
زينوها بالمباني والبنا والغواني والاغانى والطرب
فسعى كلٌّ اليها ودنا ينفق الفضة فيها والذهب
ولذا المال عليها قد همى مثل صوبِ العارضِ المنبجسِ
خلسةً طوعيةً ما حرِّما فعلها قط على المختلس

وفي حقل الجنان ايضاً قلت

لستُ ادري في اي كون مكاني هل انا في باريس ام في الجنانِ
كل ما جاء في السماع على الجنـ ـة القاهُ ها هنا بالعيانِ
ها انا وسط جنة تحتها الانـ ـهارُ تجري لكن بها كوثرانِ
كوثرٌ فاض من جميع ينابيـ ـع الامانى وآخرٌ من امانِ

هكذا انثنى وخلفى وقدا مي مجالٌ للحور والولدانِ
رب ليلٍ قضيتهُ وانا سكرا نُ سكرين في حقول الجنانِ
بين غيدٍ وغرّدٍ وغديرٍ وغيومٍ وغيهبٍ وغوانى
كان فوقي ورقٌ وتحتي زهورٌ وعلى جانبيَّ صدحُ المثاني
وسطوعُ الانوارِ من كل نبرا سٍ به البدرُ حار والفرقدانِ
ذي سماءٌ تزينت بنجوم الـ حسن لا البهرمان والمهرجانِ
فامامى تجري الكواعب من كلِّ محيا يجنى جنان الجنانِ
سافرات عن كل سكرٍ وسحرٍ باسماتٍ والله عن مرجانِ
وعيونٍ اذا رنت هبط القلـ ـب واضحى يروغ كالسكرانِ
حيثما الحسنُ فالهوى وهما الاكـ ـثرُ لعبًا في مرسح الانسانِ
فهما للحيوة اصلٌ كما اللا ذوت اصلٌ لبنية الحيوانِ
بهما الناس في اتحادٍ وضمٍّ فهما للجماعة العنصرانِ
لم تصب ذا المقام باريس لو لم تكُ فى الارض اجمل البلدانِ
كلما ازداد حسنها زادت النا سُ هجومًا لذا الحمى المنضانِ
فهى اضحت للخلق مجمع شملٍ ولكل الغوانى مجري رهانِ
ينفقُ الاغنياء فيها غناهم فيها الرزقُ فاض كالغدرانِ
واذا لم يعش اخو المال رغدًا فهو في فاقةٍ وفي حرمانِ
كل ما فى باريس لطفٌ وظرفٌ وجمالٌ وصحةُ الابدانِ
ليس فيها لذي النقيصة من را سٍ ولو قد علا علي الدبرانِ
واذا النقصُ في موازين ذا الدهـ ـرِ علا فالكمال ذو الرجحانِ

ايضاً في حرش بولونيا

من ذا ينبهني فقالت لي انا ... قم فالدجى ولى وصبحك قد دنا
قم فالسماء نضت لثام ظلامها ... والافق لالاء والسنى بلغ السنا
حتى مَ كالخالي تنام ضحى فهل ... عني سلوت ولم تعد بي مفتنـــا
ولقد عهدتك ثابتاً مثلي على ... حب جرى ميثاقه ما بيننا
فوثبت امسح اعيني واجبتها ... اهلاً وسهلاً بالصباح وبالسنا
والله قد قضيت ليلي باكياً ... واذا غفلت فذاك مفعول الضنا
ندماً على ما قد جرى امس المسا ... مني فها انا نادم وانا انا
لو لم اكن بك قد جننت لما بدا ... سخط المحبة فاعذري هذا الجنا
ولذاك لو لم اهوَ عتبك ما رنا ... طرفي لغيرك قط يا كل المنا
فتمايلت ضحكاً وقالت طب فلا ... عتب على من يستخير الاحسنا
ان الخيانة للرجال سجية ... وهم الذين الى النسا نسبوا الخنا
يا ايها الجنس الذي لا يستحي ... رفقاً بجنس للحياء لقد عنا
فاجبتها والجفن يرشح كالوكا ... والقلب من لهب الصبابة في فنا
لا بدع ان اكن استخرتك لي اذاً ... فوسحر طرفك انت احسن من رنا
ولانت اجمل من تجلى وانجلى ... ولانت اعدل من تمايل وانثنى
فرنت اليَّ باعين لو لم اضع ... كفاً على قلبي لطار به الرنا
وتبسمت كالبرق نوراً والتوت ... كالظبي جيداً وانثنت مثل القنا
واشارة لرضايها قبضت يدي ... بيد تحاكي زنبقاً او سوسنا
وبدت تغازلني وقالت كلما ... يبنى على اس الهوى نعم البنا

فهبطتُ عن عرش الكري مستبشرًا ورحضت وجهي وارتديت الاثمنا

واخذتها تحت الذراع ضحوكةً وكذا خرجنا والضحى يذري بنا

والشمس قداخذت بقبظ هجيرها تقلى منافسنا وتشوي الاعينا

فتخذتُ مركبةً وسرنا سرعة نسعى الى حرشٍ ببولونيا اكتنا

حيث الرطوبة والعذوبة والصفا حيث المسرة والمدار على الهنا

حرشٌ كان الغاب فيه من القضا هلعت فحبّكت الغصون تحصنا

غابٌ بها الغزلان ترتع والمها ترعى فلا وحشٌ ولا غيلٌ هنا

وهنا ضراب عيون عينٍ لا ظبا وكذا طعان قدود غيدٍ لا قنا

وسنادسٌ بالاقحوان تسمطت فحكت سماطًا بالكؤوس تزينا

وخمايل بالياسمين تسيجت فهناك سلطان الزهور توطنا

وجداول للروض منعطفاتها اضحت اساور نعم هذا المقتنا

فاذا تاملت البحيرات التى تجري هناك وبطها المتبطنا

لعجبت من بحرٍ جرى في روضةٍ ومراكبٍ سارت عليه بلاعنا

والجاريات ومن تجشم تبعها هبطت بهِ ايانَ تنبعث القنا

شلالةٌ يهوي الزلالُ مسلسلاً عنها ويرجع دايراً متعنعنا

عجبًا لماء قد هوىء متكسرًا وعلى الكسور تراهُ يرقص في الغنا

فالصخر من جبس الثرى ورماله لا ملح كلسٍ قام من هدم الفنا

وكذا من السين المياهُ جرين لا من ذوب ثلجٍ في الجبال تمكنا

لكنما هيهات يمكن ناقدًا تمييز ذا المبنيّ عن ذاك البنا

وجميع ذلك صنعة الايدي فما ليد الطبيعة من مواقع ههنا

ومذ اختفى ثقل النهار وحرِهِ عدنا على الاقدام نطلب ربعنا ايضاً على جسر القناطر

بينَ صرحِ القضا وجسرِ القناطر قف تشاهد باريس ملءَ النواظر
وتأمل ذاَ البشرَ هذه الامانى ذلكَ المجدَ ذا السنا ذي المفاخر
حيثما الطرف جال جالت به الدهـــشة والعقلُ راحَ كالضب حاير
عظماتٌ بهنَّ دايرة الانـــسان دارت على جميع الدوائر
فقصورٌ شمخنَ حتى على النجـــم كذا قد نطحنَ هام القياصر
وجلالٌ ظلَّ الاوايلُ عنهُ في نعاسٍ حتى انتباه الاواخر
ها هنا الكائناتُ تنفثُ بشراً وجميع الوجودِ زاهٍ وزاهر
ها هنا اللهُ قد افاض على الكـــلِ نعيماً كالطلِ ما زال هامر
فثغور الرفاهِ باسمةٌ الدهـــر وكاسُ الهنا على الكل داير
والصفا خاطرٌ بكل الخوافي والهوى خافقٌ بكل الخواطر
كلٌ هنا الملا جميلٌ ولكن بعضُ هذا الجمال للعقل ساحر
فغوانٍ يرتعن ما بين غيدٍ سارحات كالخود بين الجاذر
محرزاتٌ الجمال من كل معنى داعياتٌ الى الهوى كلَّ ناظر
كل نهد كالعاج والمرمر المنحو تِ مستكمل التخلق نافر
وقوام كأنهُ صنم الاسرارِ يوحى بعشقه للسراير
هيكلُ الحسنِ واللطافة لم يحر ق عليه سوى بخور الضمائر
وعيون سودٍ على البيض تسطو بانكسارٍ يسبى الاسودَ الكواسر
يسترقنَ النهى بلحظةِ عينٍ ويصارعنها وهنَّ فواتر

ووجوهٍ يسفرن عن كل حسنٍ فبروحي تلك الوجوه السوافر
كل حسنٍ وكل لطفٍ عجيب كل ظرف به العقول حواير
لانطاقٌ يشين قداً ولا قـ ـدٌ غريقٌ في الازرِ اوفي المازر
وبروحي رعبوبةٌ فتنتني وانا ما على الصبابة قادر
ليَ شغلٌ يعيقني عن غرامٍ فيه كلٌ للعقل والرشد خاسر
كيفَ اهوي ولم ازل ضايعاً ما بينَ كتبٍ وكاغدٍ ومحابر
تارة اختفي بجزرةِ الموتى وطوراً في الروض بين الازاهر
والهوى يقتضي كما قال زيدٌ ان يكون الفتى عليه مثابر
ربَّ يومٍ قد مزّق الافق عنهُ برقع السحب والضيا كان باهر
اقبلت دون موعد لي وقالت اترى هل ياغايب الدهر حاضر
ذا نهارٌ باهٍ اجبتُ نعم قالـت نعم انتَ فيهِ لستَ بفاكر
قم بنا نغتنم دفاءَ نهار مثلهُ في باريس ياصاحِ نادر
قلتُ ويلاهُ من مناخٍ به يغـتـنم يوم الدفاء في شهر ناجر
فطبقتُ الكتاب والقلبُ فيه وذهبنا لله صبٌّ مساير
وسرحنا حتى انتهينا الى عر ض التصاوير حيث عرض الاعاصر
فاردتُ الدخول قالت وماذا لك في ذا المكان قلتُ مناظر
فابت ان تذوق ذوقي وقالت طول عمري ما عدت اتبع شاعر
قلتُ اني اهواكِ ياسعد لكن انا والله عاشق للماثر
فادخلي العرض اوفخلي سبيلي ان يكن اولٌ فلا بدٌّ اخر
فاستعاذت واستهلكت بي ضحكاً واقشعرت من ذا الجواب المهاجر

ثمّ لم ترض فرقة فوجّنا واخذنا نطوفُ تلك المظاهر
وهي لي كالدليل تشرح ما قد غمّ عني شرحاً كاحسن خابر
باصول كذي الصناعة حتى خلتُ ذاتي مع ذات ميشيل داير
فهي تدري التصوير والرسم والالحان والفنّ مثل كل الاكابر
ليت شعري متى اري في بلادي كوكب العلم والمعارف سائر
فرجال لا يعلمون سوي صوف وقطن وسمسمٍ وحواير
ونساءٌ يبحثنَ لكن على ثوبٍ وقرطٍ وخاتمٍ واساور
واذا الجهل عمّ ما بين قومٍ اصبح العلمُ عندهم كمساخر

ومن هذا القبيل

فاضَ على الغيهب نوءُ النورِ فدكَّهُ وكان مثل الطورِ
واندفع اللالاءُ كالنهورِ فهبط الظلُّ هبوطَ السورِ
وانقلع النجم من الجزورِ

فانتبح المشرق بالاضواء والتحف المغرب بالأفياء
واستهلك الشهاب في السماء ضحكًا على هزيمة الظلماء
وابتسم الاثيرُ بالسرورِ

والصبح ذو مكانسِ الشعاع يسعى بكنس الظل في البقاع
يرشُّ ماءَ الوَهج اللمّاع فينشر الشعاع كالشراع
وتنطوي غباير الديجورِ

وبالسنى تكهربت هام الشجر فطار من اعينها الخضر الشرر
وزقزق الطير لايقاظ البشر فنهضت من نومها كل الصور

وانفتحت محاجر الزهور

حتى اذاً ما احترقت بالنار ذقن الدجى وراح في شنار
عانقت الكون يد النهار ويضت بقلم الانوار

ما سوّد الليل على الاثير

والبيدُ بالنور رغت وازبدت كالبحر والهضاب كالموج بدت
واذبذي الانوار باريس ارتدت . اضحت كمرآة لجين وغدت

تلوح فيها صور البدور

من كل بدر لابس الكمال متوج بالحسن والجمال
ذي غرة غراء تشجي الخالي ومبسم من كل عيب خالى

بينها الصبح في كسور

الهةٌ قامت لها في الانفس معابدٌ والنفس بيت مقدس
وما الى الزُهرة منسوبٌ نسي هنا فللدمى انثى والدرّس

هنا الهوى في غاية الكدور

وكيف لا يرخي الهوى عنانهُ والحسن اجرى دونهُ فرسانهُ
فكلُّ قلبٍ شاغلٌ ميدانهُ وكل شغل واجدٌ اثمانهُ

ما ضاع الا كل ذي قصور

من لا يري باريس في دنياهُ لم يدر ما الجنة في اخراهُ
ذي جنةٌ ليس لها اشباهُ ما صاح في جوارها وبلاهُ

سوى عديم الذوق والفقير

ليس لذي الفقر بنادي الارض من موضع ولا بوادي العرض

ما نال بين الناس غير الرضّ فحظهُ في الارض حظ النبض
او حظ اوتارٍ على طنبور

باريس هذه مركز التمدن ومحتد العلوم والتفننِ
ليس اتجهِ ضمنها من موطن فكلها حسنٌ وما بالحسن
تركُ مكان الحسن والحبور

حسنٌ بماء اللطف والظرف سقي فاثمرَ العشق ومن لم يعشق
كم صحت سراً في ضميري القلق حيفٌ على هذا الجمال المشرق
ان ينطفي في لجج الدهور

امـا كهذي بابل الازمان في عصرهـا ونينوى يونان
وهكذا تدمرُ بنتُ الجان ها قد غدت جمع ذي البلدان
ملاعبًا للبور والدبور

يقضى على البلاد ما على البشر فاليوم صغرٌ وغدا ياتي الـكبر
وبعد ذا موتٌ ذريع منتظر ذا بطلٌ يفتك حتى بالحجر
بين يديهِ منتهى الامور

ما الموتُ الا تاجرُ الارواحِ دهقـان لم يشبع مِن الارباحِ
ما عنده في القبضِ من سماحِ وعدتُهُ اجرى مِن الرياحِ
وقلبهُ اقسى من الصخورِ

فلينظرِ الناظر او فهو عمى وليسمع السامع او ذو صممِ
وهذهِ الدنيـا محلُّ الغنمِ فاغنم والا عشت عيش البهمِ
واضحك على جماعة القبور

وربما ياتي دهر تصبح فيه هذه المدينة العظمى مثل الخراب ورامور الانقلاب . وقد اوحى لي امكان ذلك الاستقبال ان الفق هذا المقال

ففي قليلاً عروس الدهر وارتقبي فان سيرك في الاجيال والحقب
مهلا فانت على الاقدار سالكة في مسلك رقدت فيه من التعب
في مسلك لم تزل اسد الضاء به تغزو كذاك لصوص الدهر والخطب
تاملي ما على هذه الطريق ولا تخفي عن الغير ما عاينت من عجب
تاملي بعيون الاعتبار وان جهلت ما شمت فالتبيان في الكتب
ماذا ترين وقاك الله ماذا بدا لديك في ذا الطريق الواسع الرحب
ارى فلاة ولكن لا فلاح بها وليس من قايم فيها سوى خرب
ارى تلال طلول لحن في بقع تظللت بكروم الشوك لا العنب
ارى مهابط ابراج هوين كذا عمداً فرادى فكالاوتاد للترب
ارى نهوراً ولكن لا فراش لها غير القتاد ولا جسر سوى النصب
ارى معاشر خلق ههنا سكنوا لكنني لا ارى شخصاً بلا ذنب
ارى حدايق لكن لا نبات بها ولاسياج سوى الصفصاف والقصب
ارى الكآبة في كل العراص ترى كذا ارى رجسات الحرب والحرب
ارى على السحب شيخاً كله كبر يسطو على الارض مملوءاً من الغضب
كذا ارى منجلاً للحصد في يده ولا يزال على هبط من السحب
فهل علمت الذي عاينت من غير وهل عرفت الذي شاهدت من عجب
هنا بلاد على ذا الشوط قبلك قد جدت فجد عليها الدهر بالطلب

والنحسُ هبَّ عليها من مرابضه وحاوطتها اغتيالاً غارةُ النكبِ
ضاعت وكان عليها الدهر احرص من يد البخيل على صاعٍ من الذهب
ذي بابلٌ اينها ضاعت هنا وكذا ذي اختها نينوي سلطانة القطبِ
وصور تاجرةُ الدنيا وجارتها صيدون اصبحنا الحجاز منقلبِ
كذا هنا تدمرٌ قد دُمِّرت ووهت ومنبجٌ لم يعد منها سوى اللقب
فيها بلادٌ على كل البلاد سطت وارسلت كبرها حتى الى الشهبِ
تهدمت وانمحت اثارها وعفت ومزقتها نحوس البوس والعطبِ
وبعد ضوضاء ذياك الضجيج غدت تمورِ تحت سكوت الموت والكربِ
وكل اسوارها والناس قد حصدت عمداً بمنجل ذاك الشيخ ذي النوب
هذا هو الدهر لا يرضي علي فئةٍ دوام ملكٍ ولا سيفٍ على جنبِ
فسوف ينظر هذا الدهر نحوك يا باريس نظرة لص نحوَ ذي نشب
وهكذا يسرق الاثار منكِ ولا يبقي سوي اثرٍ في الكتب محتجبِ
حتى اذا ما جري ذكرسناك على سمعٍ يقال رواياتٌ من الكذب

حال الشرق

ها هنا وجد الانسان الاول . وعلى هذه الارض كان المعول . فالشرق مهدُ الانسان . ومبداء الاوطان . فلا بدع كونه الاصل للمعارف والتمدن . ومنبع العلوم والتفنن . ومنشاء القوات والدول . ومحل الاوليات الاول . اذ فيه تهذبت الابدان . وذاعت الاديان . وظهرت الفلاسفة العظام . والحكماء الكرام . والشعراء المفلقون .

والراوون الصادقون . فهناك اول ما فُحِث الارض . وعلم الطول والعرض . وتحدّدت الافلاك ورُصدت . وسلكت البحار وقُصدت ودُرست الطبيعة . ووُضعت الشريعة . وانتشرت المتاجر والصناعه . وبدت اليراعة والبراعه . وكشف اللسان قناعه . فمن الشرق مبادي المبادي . واياديي الايادي . ولكن الدهر غيور . والزمان غدور . فلما نظر هذا القضاء فلاح هذه الديار . ونجاح هذه الامصار . بسط عليها سحاب الكوارث واثار عجاج الحوادث . فوقع النزاع بين الملل . وانتشب الحروب بين الدول . وشبت نيران القتال . وارتفع لهيب الاهوال . فضجت الناس بالفتن . وعجت في الروءس المحن . وما برحت التقلبات تمد مضاربها . والمكائد تعد ملاعبها . والزمان ينفث الانقلاب . والخطا يعبث بالصواب . حتى اولج الدهر سنانه في مقتل العقل . واوقع الغلط حسامه في عنق النقل . فهجم الظلام من خباياه . وبرز الخراب من زواياه . فتاهت الاهالى في هذه الدياجر . وتساقطت في تلك المعاثر . واسترجع الاقبال يسره . واستطلع الادبار عسره حتى غرقت العقول في لجج الجهاله وتمرغت الطباع في بطائح الرذاله . وهكذا قد انقلبت المدن العظيمه . وانمحت الاثار القديمة . واضطربت المتون الراسخه . وهوت السرادق الشامخه . حتى نعب بوم الدمار . ونعق غراب الدثار وما زال أن سلم الشرق نفسه ورفع الغرب راسه

ياشرق ابا الهدى ترى اين هداك قد غاب ضياك وانمحى كل بهاك

قد كنت لكل ذي ظمى بردروي   ما بالك عدت شاكيا حر ظماك
بالامس لكل ساقط كنت يدا   واليوم غدوت ساقطا تحت ضناك
بالامس لكل ذي ضنى كنت قوي   واليوم غدوت فاقدا كل قواك
بالامس لكل معشر كنت حمى   ماضاع حماك بل قضى خان حماك
ياشرق ولو عليك مدّت ظلمٌ   لاتطغ فسوف يغمر النور سماك
الغرب اذا زهى فعن ضوءك ذا   فالصبرُ الصبرَ فغدا ربيع ضياك
لاتخشى يا ابا السنى تيه دجى   فالشمس امامك اختفت وهي وراك
ياشرق عطشت بعدما قد سقيت   من وردك كل فيئةٍ فوق ثراك
ان كان مياهك الجواري نضبت   لا بد لفيضها فبشراك بذاك
فانهض بحمى عبد العزيز السامي   هذا سلطاننا فهـذا مولاك

حال الغرب

ما كان العقل ليرضى بانحطاط مراتب أعماله . وسقوط دولة افعاله . ولذلك فريثما كان الشرق يلجُ في الظلماء . كان الغرب يعانق الاضواء . وما لبث ان تبوأ الغرب صهوة الضحى . وهار نهار الشرق وانمحى . وما زالت مناطق النور تمتد في الغرب ان غمرت القارة . واضحت هناك فارة . وهكذا فتحت الابصار والبصائر . وتنورت الاسرار والسرائر . حتى انتشر العلم والجهل انطوى . وجلس العقل على عرشه واستوى . فتكملت المعارف والمفهومات . وتجملت المعقولات والمنقولات . وسقطت الاكاذيب والاباطيل . وهدمت

الخرافات والاضاليل. وارتفعت الحقايق . وتشيدت الطرايق . فلم يعد للفلك احكام . ولا للعين سهام . ولا للجن مسارح . ولا للارواح مراسح ولا للسحر تاثير ولا للاحلام تفسير . ولا للكيمياء احالة بسيط . ولا بين المفقود والموجود وسيط . بل فتوح معقول ، وكشف مجهول . وابداع روابط . واختراع ضوابط . وايراد موارد . وارشاد شوارد . وتحصيل طرايق . وتنصيل طوارق . وتمهيد طرقات وصنايع . وتشييد متاجر و بضايع . فهناك الشمس ثبتت في مقرها والارض دارت على دايرتها ومحورها . والحكمة لبست ثوب الكمال والاداب وسحبت مطاريف الجلال . والطبيعة فشت اسرار الاجسام . والشريعة فصلت بين الحقايق والاوهام . والكيمياء حررت عناصرها من حكم الاستقصات المتغلبه . واظهرت جواهرها من صدف الاراء المتقلبه . حتى وطدت اصولها . ومكنت فصولها . والطب نشر راياته واعلامه . وكال بغاير الظفر هامه . فافتتح معاقل الامراض . ورض قوارض الاعراض . ان يكن بقوة الاصول العنصريه . او بفواعل الحواصل النباتية . والبدويات تحكمت هناك واستحكمت . وخضعت الاثقال وسلمت قطار الانسان على البخار . واختصر مطولات البحار . وضيق رحبات القفار . واستخدم البرق رسول اخباره . والنور مصور اثاره . وهكذا فقد سطى الانسان الغربي على اجزاء الكاينات وكلياتها . واستخدم مجموعاتها ومفرداتها . حتى تم نقصان الشرقي . ورقى عليه بالضرب والترقى . فلا حيوة الا هنالك . ولا ريب في ذلك . فهناك

الراحة والمراح . والطرب والافراح . والامن والامان . والحسن والاحسان . والثروة والغنى . والخصب والجنا . والمراسح واللهو والمشاهد والزهو والرقص واللعب . والاغاني والادب . فلا يضج الملل في القلوب . ولا يهج الضجر والكروب . وكل روح ترتاح الى علاقتها ولا تحمل نفس فوق طاقتها . حتى اذا كان امرؤ نضو تعب . وحليف وصب . غارقاً في الاكدار . وخابطاً في الاقدار . فهو يرى ما يعزيه . ولا يرى ما يؤذيه . وبينا كنت ذات ليلة في باريس خائضاً في كتابي . تائهاً بين خطائي وصوابي . وانا حبيسٌ في حجرتي لا انيس لي غير وحدتي . مللت انس تلك الوحدة . ورخاء هذه الشدة . وانفت مُسامرة ذاك النديم الصامت . او الصديق الشامت . فهربت الى الشارع لا اعلم اين انطلق . هربُ الطير من القفص المغلق . سكران بخمرة التاملات . مهشماً تحت مطارق المشكلات . وما زلت ان اوقفني باب كبيرٌ . محفوف بجرس النور . فلبثت قليلا . ثم دخلت دخيلاً . واذا المحل مرسح رواقص . وملعب عواقص . وما زلت هناك الى ان احترقت ناحية الدجى . والليل الى الغرب التجى . فخرجت اذ ذاك . وها شرح ما رايت هناك .

ليلة رقص

كفى على هذا الورق ... اسكب انوار الحدق

العلمُ بحرٌ زاخرٌ ... وفيه قد طاب الغرق

لكنما للعقل او ... قاتٌ ووقتٌ للحمق

كذاك للنهار اشه غالٌ وشغلٌ للغسق
ها ملك الليل بدا يجلى على عرش الفلق
والغرب قد حاك له في الافق برفير الشفق
والشمس حلت في الخبا والنجم في الاوج انطلق
وسكن الكل سوى نفس ابت الا القلق
نادى الهنا هيًّا فيا نفس اركضى فلا زلق
قومى الى نهب الصفا ها علم الحظ خفق
باريس لما اصبحت سما حوت كل الفرق
وسبيت جهنمٌ وبابها قد انغلق
فلتغتنم هذه السما قبل زوال المتفق
حتى م اخلو جامعا فى الذهن افكارا عتق
من فاز بالزنبق لا يصبو كثيرا للحبق
ومن اصاب اللحم لا يقول ليت لى المرق
ومن كسى بخلعة هل يفكرنّ بالخلق
سعيًا الى اللذات ما دمت على بعض رمق
واركب على خيل الصبى واسبق فاجرا سبق
لكل سن مسلكٌ له نظامٌ ونسق
فالمرء في الدنيا سدا يحاك والعمرُ شقق
وكل قلب بالمنى يبني الى يوم الغلق
ما القلب الا شجرٌ وما المنى الا الورق

ومنيـتي مدينـةٌ فيها لي السعدُ برق

اجولُ فيها وعلى فهي مجالٌ للملق

اقطف من لذاتها ما عدَّ لي وما اتفق

وفي لظى شبيبتي كل اسىً قد احترق

لا ارعوي ولو عوى كل عذول او نهق

وليلـةٍ سوادها كالمسك بالطيب عبق

اوحى اليَّ الوقت ان اطوفها دون رفق

فرحت اجري والدجى يزيد فوقي من حنق

مهرولاً كانني اسعي لدينٍ مستحق

ما زلت حتى صرت في مغنى على المغنى انطبق

كانه بحرٌ بـهِ تموج رباث الحلق

فخضتُ فيـه وانا اشقٍّ امواج الخرق

اذا بصوت قال لى مهلاً اما تخشى الغرق

كم انت ياهذا قبـا قلت كذا كل قبق

فصار يهجو ابهتى وطول ثوبي ذي اللبق

بكل لفظٍ شاردٍ وكل معنى لم يطق

فلم ازل مطولاً عليه بالى ان مزق

وليت منى الابتدا فالضرب للذي سبق

قلت له ما تشتهي ياقفصاً تحت طبق

اوقصبة في سلةٍ اوخنصراً في مخنق

قال وهل نحن الذي بالأزرِ شوّهنا الخلق
رُح يافتى من فئةٍ نساءٌ وها مثل الحقق
ومن زوايا سقرٍ جمالهنّ مسترق
فالشعر حيات سعت والخد نيران الحرق
والصدغ يدعى عقربا والخال دود ا اوعلق
والوجه يدعى عندكم بدرًا اتهوون البهق
ولم نزل في جدل وبيننا يجري العرق
حتى انتهينا اخرًا للوفق والوفق احق
والجمع قد قال لنا كلٌّ بما قال صدق
وربَّ خيرٍ جاء من ضدٍ مع الضد اتفق
واذ جلسنا والقلا هار بزلزال القلق
اذا غزالٌ جانبي يغزو فوادي بالحدق
كانهُ مكوّنٌ من جوهرٍ لا من علق
يفترُّ عن ظرافةٍ منها سنى الحسن انبثق
ويثنى عن قامة غصن الهوى منها بثق
مَن لي بها رشاقةً شاقت ومكحولا رشق
يطرق في الارض ومن مبسمه الشوق اندفق
فناظرٌ يرعى الحيا ومبسمٌ يرعى الشبق
ولم يزل طير الهوى يصدح في دوح الارق
ونحن في تمازج والجنب بالجنب التصق

حتى مَ تنحى للنوى فقلتُ لا ومن خلق
فقال ها الصبح بدا قلت ولو كان انفلق
ولم نتم حتى اختفي دخان مركب الغسق
ولاح سلطان النها رِ لابساً تاج الالق
والشهب من شرارهِ قدذبن والليل احترق
هنا افترقنا وانا امشي وعيني بالطبق

فها خيم التمام على الغرب وعم فتامل زوالا اذا قيل تم . او ما ترى النزاع بدا يسعي بين مله . والحسد بين دوله . فكلٌ وقف على قدم الطراد . وفغر فم الفساد . مكدوداً بمراده . ومعهوداً بعناده . وهذا دليل الدمار . وطليعة الدثار . ولا بدع فالشرق اخذ يطلب ماله . ليسترجع ما له . وما الزيادة الا الغاية المكرره . صلاحة في الدين مقرره . وها قد استرجع الشرق متاعه . ورفع سنجقه وشراعه . وذلك على عهد عظمة سلطاننا عبد العزيز . ذي الشوكة والسطوة والادارة والدراية والتمييز . مبدع هذا العصر الزاهر . وجامع نفايس الاوايل والاواخر . وقد قلت تاريخاً لجلوس عظمته على عرش السلطنة السنية ،

تاريخ الجلوس الهمايوني

بشراً لكم بالفوز يا كلّ البشر فالدهر عن وجه المكارم قد سفرْ
ولتنعمنّ نفوسكم فاليوم قد لاحت شموس العز من فلك القدر
اهدى العزيز لنا الخليفة عبده من كان في عثمان كنزاً مدّخر

فاهتزّت الدنيا به فرحًا وقد طُوِي الاسى والسعد كالسحب انتشر
وبدت بجود الملك بارقة الهنا وهمى على الافاق من نعم مطر
وافترّ ثغر الدهر عن شنب الصفا فصفت لنا الايام واندثر الكدر
ملكٌ على عرش الخلافة مذ علي ظهر النعيم وحاز عزاً من صغر
كل الملوكِ كواكبٌ لكنما عبد العزيز لكلهم شمسًا ظهر
قد زيّن التخت العلىّ بمجده ابدًا كما قد زين الطرف الحور
بالعدل كسرى والتسلط قيصرٌ وذكا سليمان به وقوى عمر
نامت عيون الناس تحت ظلاله امنًا وبات لحفظه يرعى السهر
فيه غدا غصن التهني معطيًا ثمر النجاح وكلنا نجنى الثمر
اخلى قلوب الشعب من خوف الردى واحلّ فيها الرعب منه والحذر
لكم الهنا ياخاضعون لحكمهِ فلقد ظفرتم بالرجاء المنتظر
قد سدّ طرق النايبات بحزمهِ عن ساحة الملك الذي فيه ازدهر
واذا تولىّ الملك ملكٌ حازمٌ لا يتركنّ به سبيلاً للضرر
كتب القضاء على صفاح سيوفه لا عيش للعاصي اذا السيف اشتهر
قد البسم كل البلاد يمينه حلل الامان وقد نضت عنها الخطر
فاعاد ما هدم الزمان مشيداً بعزيمة تحكى الزمان اذا اقتدر
وبنى من النعماء حصنًا للورى هذه هى الجدوى فقل نعم الاثر
فلتسعد الدنيا به ولتبتهج كل الملا ولتفرح الدول الاخر
كن يا امير المومنين مسربلاً بالفوز ما غنى الهزار على الشجر
ما انت الا الشمس في اوج العلا واليك كالحرباء كلٌ قد نظر

ان المهيمن مذ دعاك خليفةً في الارض كي ترعى الانام بما امر
نادي لديك العرش عش ياذا القوى والدهر قال مورخا سد بالظفر
سنة ١٢٧٧

حال الزمان

هذا هو الرب القادر . والاسدُ الكاسر . والحسام الباتر . هذا هو الخصم والحَكم . والحرب والسَلم . والسيف والقلم . هذا هو الداء والدواء . والنعيم والشقاء . والراحة والعياء . هذا هو العدوّ والصاحب والمطلوب والطالب . والمنهوب والناهب . هذا هو الحق والزور . والخير والشرور . والحزن والسرور . هذا هو الميزان والاوزان . والرجحان والنقصان . والطاعة والعصيان . هذا هو الظهور والخفاء والخيانة والوفا . والكدر والصفا هذا هو الوجوم والابتسام . والثواب والانتقام . والحلال والحرام . هذا هو الباب والطريق . والوحدة والرفيق . والفرج والضيق . هذا هو الزمان الغلاب . والشيخ المهاب . كاسر الاكاسره . قاصر القياصره . رافع الوضيع . خافض الرفيع . مفقر الاغنيا . مغني الفقرا . كاشف الاسرار . هاتك الاستار . ترجمان النوايا . قهرمان العنايا . دهقان الخبايا . محنذُ البلايا . اذا فرّح احزن . وان قوّى اوهن ومتى منح امحن . فلا يضرب الا ليكف . ولا ينتقم الا ليعف . ولا يواسي الا ليئسي . ولا يذكِّر الا لينبي . ولا يوجع الا ليريح ولا يسدل الا ليزيح . ولا ياخذ الا ليعطي . ولا يعلّي الا ليوطى . ولا

يحصد الا ليزرع . ولا يمنح الا ليمنع . ولا يعدل الا ليظلم . ولا يبنى الا ليهدم . ولا يرشد الا ليضل . ولا يلهى الا ليمهل . ففيه اللهو والملل . والخيبة والامل . والريّ والظماء . والشدة والرخاء . والثبوت والتقلب . والتهقرة والتغلب . ايان طال صال . واينما طلب نال . وحيثما رمى اصاب . وكلما اكدَّ اراب . فتركه طلب . وهدوهُ شغب . وصلاحه فساد . ونومه سهاد . ويقظتهُ رقاد . وحلمه جور . ونجده غور . وسلسله دور . وسلمه قتال . ودوامه محال . ومن شانهِ انهُ كلما اعطى اطمع . وكلما طيب افجع وما دهاني بهِ في غاليه . ما دعانى لهذه الاقوال التاليه .

سطوة الزمان

جئت ارض الغيث كي اطفى الصدا فطفت عزمى وزادت عطشى
واطاشتنى فصحتُ المدا يالرسِ عمرهُ لم يطشِ

دور

لم اجد والله في هذه البلاد غير داءٍ لى وللغير دوا
ذقت فيها كل كاسات النكاد وكذا غيري من الشر ارتوى
وبها الدهر كسانى بالحداد وكسى الكل باثواب الغوى
يافوادي قد جرى فيك الردى فعلى هذا الردي متْ او عشِ
واصطبر او فاحتبط كل سدي قضى الامرُ فلا تنتطشِ

دور

لستُ لا والله ادرى حجتى لا لدى الله ولا عند البشر

غير انى سالكٌ في دعوتي ولكل مسلكٌ فيه اشتهر
فرمي الدهرُ اغتيالاً همتى بنبال الغدر ياقوم الحذر
ذلك الدهرُ لنا شرُّ العدى سارقٌ لكنه لا يختشى
يرعش الدنيا اذا القى يدا وهو شيخٌ انحس لم يرتعشِ

دور

ياقومى في صباحى والمسا أُسدُ الخطبِ لقلبى تفترسُ
قد اعادتنى اصمًّا اخرسا في ربوعٍ فاهَ فيها الاخرسُ
ما احتيالُ المرء في حكم الاسى مشكلٌ تحتارُ منه الانفسُ
قيل صبرا قلت والصبر غدا صاحب الدهر ومنهُ مرتشي
وكذا العقل الذي منه الهدى صار كالطفلِ كثير الطيشِ

دور

ان مَن كان الشقا قسمتهُ لايري الا الشقا اينَ سري
لا يري في الارض الا مقتهُ كيفما جدّ عليها وجري
واخو السعدِ يرى نعمتهُ اينما سار وأنَّى خطرا
رُبَّ ذي عجزٍ له فاض الندى واخى عزمٍ قضى في عطشِ
ما ترى المرَّ يعيشُ الرغدا ويصاد النمرُ ضمن الحرشِ

دور

قدقطعتُ الان امال الشفا بعدما جرَّبت كلَّ الادويه
هُدم البيت واقوي وعفا هكذا غاية كل الابنيه
فطبيبُ اليأس حسبي وكفا انَّ في اليأس لكلٍ تعزيه

لا يغرّنّ الفتى يومٌ بدا ابيضًا في زمن كالحبشي
فامام الدهر كلٌّ وُجِدا مثل عصفورٍ امام الحنشِ

دور

كلنا نحن بني هذا الوجود نشرب السمّ بكاسات الذهب
تظهر الدنيا لنا ماء الورود فندانيها فتسقينا النكب
تركها اولى فلا كان الوفود نحو خوّانٍ اذا اعطى نهب
ليس من امنٍ لحيٍّ ابدا من زمانٍ جايعٍ مستوحشٍ
فاحذروا ياناس هذا الاسدا ايّ نابٍ في الطوى لم ينهشِ

دور

تفرح الاباء في حظوى البنين فرح الصاحى باقبال المدام
ما صراخ الطفل في اول حين غير قولٍ جئتُ فاذهب بسلام
لو درى ما النور في الدنيا الجنين فضّل الاجهاض واستحلى الظلام
حرِّم القتلُ فمثلٌ أو فدا والوري عن ذا القضا في طرشِ
كلما للدهر اعطوا ولدا ساقهُ للذبح مثل الكبشِ

دور

ياابي نمْ امنًا في ذا التراب فعلى ذي الارض جاءت نوبق
قد خلصت الان من هذا العذاب بعدما اثبتّ فيهِ وقعق
دمعك المهراق ما غاص وشاب عنك لولا دورهُ في مقلتي
فاهنيك بموتٍ انجدا آه لو ترثي لعيشي المتشي
طبْ فما عدت تقاسي نكدا قد اتي دوري فياموت ابطشِ

دور

وكذا ياامرءُ اوجاع المخاض كنْ رمزًا عن مصابي المقبلِ
انتِ قد ارضعتنى ذاك البياض لدحولى في سواد . الاجلِ
خطتِ لى اقمطة قبل المباض لم تكن غير قيودي الأولِ
منذ ...ا البستنى هذا الردا حاك لي الدهر لباس الفحشِ
واعدَّ السهد لى والكمدا منذ تيسيمكِ لى في المفرشِ

دور

كم بكت عينكِ دمعًا كالدما كلما تنظر عينى في ارق
اه لو تنظرنى الان وما في فوادي من لهيب وحرق
فاستريحي الان بالموت فما اتعب العيش على ذاك القلق
واتركينى باكيًا طول المدى خابطًا وحدي رفيق الرعشِ
ضايعًا في غربتى مبتعدًا صارخًا ياسعد من لم يعشِ

دور

فانا ابكيكما ياوالديَّ بدموع ما بكاها احدُ
انَّ في موتكما التاسى لدى مات حتًا سندى والعضدُ
اى شيء عوضٌ لى اى شي وجميع الارض لى تضطهدُ
ولذا صرتُ فتىً منفردا انظر الدنيا نظير البرغشِ
ارتجى في خلواتى الصمدا فسواهُ ليس لى من منعشِ

وايضًا قلت في جور الزمان

حتىم هذا الزمان بفلك بي حتىم يجرى دليَّ بالنكبِ

ويلاه لم يروَ من دماي فلو مستسقياً كان لارتوي وابي

فما احتيالي واين اهرب من دهر اليهِ المصيرُ بالهربِ

دهرٌ لذى الامتلاء كل سخا وكل محلٍ لكل ذي سغبِ

كعارضٍ غرَّق السباخ ولم يسقِ الاراضى التى على لغبِ

والدهر اعمى العيون وهو على سبل الوري قايدٌ فواعجبى

بئس الليالي التى اثرن على قلبى خطوب الحروب والنوبِ

كسفن شمسي على الضحى وكذا خسفن بدرى وليس في الذنبِ

لله كم بتُّ والشؤون على خدىَّ ينسجنَ حلَّة الكربِ

والليل يلقى رماد ظلمتهِ فى الشرق فوق الصباح ذى اللهبِ

ما لليالى غدرن بي اترى زعمتنى ثايراً على الخطبِ

وما لدهري اتى يطاردني هل ظنَّ اني مطارد الحبِ

فلينعم الان كل ذى نعمٍ فالدهر لاه عليَّ بالغضبِ

وهكذا ذى الحيوةِ جاريةً ذا فيِ اضطرابٍ وذاك في طربِ

ياايها الدهرُ لا بلغت منى الى م ايدي سباك تلعبُ بى

اقمت بى دار ندوة جمعت كل البلا خبتَ يا ابا لهبِ

فانت خصمٌ لكل ذي طمعٍ وانت ضدٌّ لكل ذى طلبِ

وانت للهدم والدثار ابٌ وانت امٌّ لكل منقلبِ

وانت شيخٌ وانت ذي حكم وانت تسعي لجاهل وصبى

فكم مدارٍ بصيح ضدك يـا جانٍ وكم مركزٍ وكم قطبِ

وكم بلاد وكم قرىً وورى حتى وكم انجمٍ وكم شهبِ

فلا معينٌ لنا عليك سوي سوم الرضى في الهنا وفي الوصبِ
ان الرضى تارةً يجرُّ منىً والصبر طوراً يجيء بالاربِ
صبرتُ حتى العياء غار على صبرى ولولا العنا لكان سبى
وانفس الصابرين قد خلقت مقاومات لاثقلِ النكبِ
وكل بلواى جهل دهري بى دهرٌ به ضاع اجرُ ذى الادبِ
والجهلُ ليلٌ اذا فشا سرقت فيهِ اجور النهى بـلا تعبِ

وقلت ايضًا استغاثةً بالله

عظمتْ عليَّ نوائب الدنيـاء والدهر قابلنى بكل بلاء
وغدوت فوق الارض ريشة طائرٍ سقطت امام عواصف الاهواء
ايَّانَ سرتُ رايت كل مصيبة عُظمى تهددنى بقطع رجائي
فاودُّ ان اهوي الزمان عسى اري تعذيبهُ عذبًا على احشائى
فكأن قلبي صار عضوًا للشقا والحزن لا لعيالة الاعضـاء
قلبٌ ابى دفع الدما الاَّ الى عيني، لتطفي نارهُ ببكائى
ابكى اضجُّ انوحُ اذ لا سامعٌ غير الدجى والريح والانواء
فدعوتُ من لم يدع دون اجابة فرثى لحالى واستجاب دعائي
ان كنت صنع يديك ياربي فلا أدعو سواك ففي يديك شفائي
انت العليمُ بما جنيتُ به فلا اشكو لغيرك يارحيم ضنائي
يارب قد دارت عليَّ دوايرٌ سودٌ وعدت فريسة النكباء
يارب قد قهر الزمان عزايمي فاقهر زمان القهر يامولائي
زمنٌ قد استنقي بكل مكيدة وغدا على ولعٍ بشرب دمائى

صرعتني المحنُ الشداد فهدَّلي يدكَ الشديدة يا ابا الضعفاء
محنٌ تعاظم فتكها وصراعها فافتك بها ياعظم العظماء
يامنقذاً ايوب من بلوائه بالصبر فانقذني من البلواء
أذناك سامعتان اصواتي كذا عيناك ناظرتان حال عنائي
ان كان سخطك صار داءً لي فلا ريبٌ سالقى من رضاك دوائي
انت العليم بلي بضعف طبيعتي وانا العليم نعم بعظم خطائي
اغصان حلمك دانيات قطوفها وجنان عفوك فايح الارجاء
عبدٌ الى مولاه مدَّ يد الرجا حاشا يردُّ بقسوة وجفاء
عبدٌ راي في قلبه رباً له روءياهُ شمس الكون في العلياء
فانحاز يقرع صدره طلب الندى قرع الفقير لباب ربٍ غناء
اني علمت وجود باري الخلق من ايجاء نفسي لا من الايحاء
ان كنت موجوداً فربٌ موجدي هيهات مبروءٌ بلا ابراء
ها كافة الاشياء تدعو كلُّ ذي عقلٍ ليعبد مبدع الاشياء
من ذا الذي سوَّى السماء وصاغها وكسى الكواكب حلة الاضواء
من ذا الذي دهق الفضا بعوالم جلَّت عن التعداد والاحصاء
بعوالمٍ صيغت باحسن صيغة وجرتِ بكل شريعة غرَّاء
من ذا الذي جعل الجماد مجهزاً قوت الحيوة وقوة الاحياء
من ذا الذي اعطي النبات طبيعة منها الى الحيوان كل عطاء
من ذا الذي قد صيَّر الحيوان ان يدري المحيط به بلا استثناء
متحركاً بارادةٍ متمتعاً بوجودهِ متطاوع الاجزاء

من ذا الذي من ذلك الحيوان قد | سوّى كيانًا فاق كل سواء
اعني به الانسان سيد جنسه | راس الخليقة مالك الحوباء
من ذا الذي اعطاه كل خليقة | وحباهُ اعظم قدرة وسطاء
اعطاهُ ان يسطو على كل وان | يستخدم الاشياء بالاشياء
اعطاهُ فهمًا ادرك الاشيا به | وابان ذا عن ذاك بالاسماء
اعطاهُ ذكرًا يستطير به على | جنح الضمير الى اشمّ سماء
ذكراً بقوته يرى في قلبه | صور الحوادث في الزمان النائي
فمن الذي قد صاغ هذا كلّه | من حيث ليس سوى سكون فضاء
ذا خالقٌ متحجبٌ في ذاته | ويرى الجميع وما له من رائي
ربٌ كبيرٌ قادرٌ متسلطٌ | منهُ الحيوة ومنهُ كل سخاء
فيه استغثت على جميع مصايبي | وعليه قد القيت كل رجائي
وكذاك ارجوهُ يمنُّ عليّ ان | اطفي بماء فويق حرّ ظمائي
واعافُ نهر السين فهو لذي الظما | ملحٌ اجاجٌ معطش الاحشاء
حيث الغريب يرى الجنان بعينه | وفؤادهُ يصلى بنار لظاء
لا ناقةٌ ابداً له كلا ولا | جملٌ ولا حصباء في بطحاء
فمتى ارى الاظعان تعدو بي الى | سمعان حيث مطالع الشهباء
واري رؤوس السرو تدعوني الى | ان استطيب نسائم الزوراء
كلٌّ يميل الى مساقط راسه | ميل الرضيع الى لبا الاثداء
فانا الى حلب اميل صبابة | ابدًا وان اكُ في سما الدنياء
بلدٌ لراسي مسقطٌ وبها ارى | اهلي واصحابي وآل ولائي

للوحش اوكارٌ وللاطيار اشه جارٌ وللاسماك لُجُّ الماء
لا يزأرنّ الليثُ في دوح ولا يترنمُ القمريُّ في البيداء
والجرف للظبي الغرير احب من قفصٍ من البلور ذي اللالاء
كلٌّ لنغمة ارضه يصبو ولا يلوي سوي ذي فطرة صماء
فمتى اري جبل الكرام بمدلي باعًا يطول علي جبال التاي
حيث الطبيعة بالطبيعة زينت حتي استغنت عن صنعة وعناء
حيث السما وفت الفصول فما اتت بشتاء صيف او بصيف شتاء
حيث المناخ كسي الثري بل والوري ثوب النعيم فكان خير كساء
ان المليحة من تجل بحسنها عن صقل عرقوب ورثم رداء
وبكل ارضٍ افةٌ تجري على قدر المألوف وقدرة الاجراء
فالحمر سوقٍ والخطوب بضايعٌ والدهر فيه يبيع دون شراء
ان العذوبة في الحيوة عذابها كوعود معشوقٍ بدون وفاء
فتبسم المفقود رمز خلاصه وتوسمُ المولود رمز بلاء
والدهر اعمى وهو مالوا الوري واصمُّ وهو يرنُّ بالارزاء

وقلت ندبًا لفعل الحوادث

هل عاد عندك يازمان بعادي خطبٌ تعاندني به وتعادي
لاعدت اجزع منك اذ قد افرغت كل الكنانة في صميم فوادي
لم يبق عندك ما تروعني به غير المنية وهي جلُّ مرادي
اشكوك يادهري واني عالمٌ شكواي تذهب صرخة في وادي
وكذا اناديك الدوام واني ادري بانك لا تجيب منادي

لي معك يوم العرض وقفة مشتك ... ياظالمًا وعديم كل رشاد
يادهر لِمْ كسّرت كل ظباك في ... عنقي لحاك الله من جلاّد
اترى انا وحدي عدوك في الملا ... يامن له كل الانام اعادي
اعدمتني كل الهنا وتركتني ... متغربًا عن معشري وبلادي
وحكمت ان اقضي الحيوة شقًا وان ... ارعى الاسى كمدا ليوم معادي
ومنعت عني المنجدين فلو بدوا ... لي في المنام لرمت منع رقادي
سحتًا لعمرٍ كل يوم منه لي ... موت وقايعة بلا تعدادِ
ما اجتني فيه سوي شبٍ وما ... نفسي سوي لهبٍ وقدح زنادِ
يبدو الصباح لكل عين ابيضًا ... ولاعيني متوشحًا بسوادِ
والشمس عند شروقها تلقي على ... كل البسيطة حلة الاسعادِ
لكن ابت تلقي عليّ سوي اللظي ... وابي يراها الطرف غير رمادِ
واحسرتي نفخ الزمان بلمتي ... شيبًا تداخل في شباب بادي
والعمر في زمن الصبا زهر الربى ... للكل لكن لي كشوك قتادِ
قد كنت خلو البال لا اهوى سوى ... قبضي لاقلامي وبسط مدادي
وقطوف اغصان الشباب دوانيًا ... وتنقلي من زينب لسعادِ
فندرت اروغ من ثعالة في العنا ... واضل من مهرٍ بغير قيادِ
لم ادرِ قط من الشقا الا اسمهُ ... حتى تصرّف فعله بفؤادي
قد كان يحسدني على دهري الوري ... والان صرتُ انا من الحسادِ
واشدّ ما قاسيتُ من الم البلى ... ضجرٌ يرافقني بكل عنادِ
فكانهُ ملكٌ يروم وقايتي ... لكن من الاصلاح لا الافسادِ

أيّانَ سرتُ أراه نصبَ لواحظي ابداً واين ظعنتُ فهو الحادي

وهو الكرى وخيالهُ في اعيني ولربما هو مضجعي ووسادي

مَن لي به بطلاً يطاردني بلا حلمٍ وما انا من رجال طراد

فردٌ قبيحٌ لم يجز قفصاً سوى قلبي ولم اكُ قط بالمرتاد

بعداً له تغلاً شنيعاً امهُ بنت الشقا وابوهُ ابن جهاد

او ذاك حظي منك يا باريس يا دار الهناء ودارة الاعياد

وعليَّ اسندُ ان اقل هنا لي همّاً والحكم مردودٌ بلا اسناد

ما هذه الدنيا وما هذا الملا ما القصد في الاعدام والايجاد

ماذا الحيوةُ وما الممات وما الوجودُ وما النفوس تضجُّ في الاجساد

اني رايتُ الكلَّ شيئاً واحداً يجري كصوت واحد الترداد

مع ان ذا ضدٌ لنا والكون ان يثبت فذا بتنازع الاضداد

فعلمتُ انّ عنايةً علويةً للكل مثل الام للاولاد

واذا وفاقٌ قام في اجناسه فالخلق في الانواع والافراد

لكن مللتُ دوام صوت واحد ملل السماع مطارق الحداد

ورايت ان الارض تيهٌ مظلم وبه الورى تسعى بلا ارشاد

يا صاحب الدنيا حذار حذار ان عادتكَ يوماً فهي شرّ معادي

انثى فلا يرجى ثباتٌ عندها تبغي الوداد ولم تقم بوداد

حال العلم

ولما كان العقل مطبوعاً على الاكتساب . وحاوياً ملكة التمييز

بين الخطاء والصواب . اوعزت اليه دواعي الحركات الذهنية وبواعث الحيوة البدنية . واللوازم المدنية . ان يرتب تصوراته ويهذبها . ويحمل دلائلها الطبيعية ويؤديها . وان يبحث في الموجودات ويستقصيها . فيدنيها اليه او يقصيها . حتى يستخدم ما طاب له وسر . ويطرد ما خبث وضر . فيستعين بالجوامد على حيوناته . وبالماديات على روحياته . وان يعرف الخالق من المخلوق . والصانع من المصنوع والموجد من الموجود . كمعرفة الوالد من المولود . وهكذا قد نشاء العلم . وقام الفهم . فالعلم ريحانة النفوس وروح قدوس . به تنشر الافكار . وتبصر الابصار . وتكشف الاسرار . وتبلى السرائر . وتبرز الضمائر . وتسمو الخبايا . وتصفو النوايا . وبحسنه تحسن الصفات . وبكماله تكمل الذوات . وهو الكنز الذي لا يفنى . والجمال الذي لا يثنى . قرة الكبير . سند الصغير . زخر الفقير . فمن حازه حاز الجلال وان كان حقيرا . والكبر ولو كان صغيرا والثروة ولو كان فقيرا . والغنى ولو كان اسيرا . والسطوة ولو كان ضعيفا . واللطف وان كان كثيفا . والعز ولو كان ذليلا . والجنة ولو كان ملالا والقبول وان كان رذيلا . والدخول ولو كان دخيلا . فيه ارتقى الانسان ونجح . وتبالى وفلح . واصبح اعظم الكاينات واجود الموجودات والخيرات اتسعت . والاضرار امتنعت . والنفوس غلت . والحيوة حلت . والممالك شيدت . والمداين تسيدت والصنايع عمت . والفلاحة تمت . والمتاجر انتشرت . والاخطار اندثرت . والطبيعة خضعت

ودنت . والعاصيات طاعت وعنت . والافات غلبت . والنوائب سلبت . والمعاملات شاعت . والمعامل زاعت . والسياسة صلحت وتجملت .والاحكام عدلت وتكملت . ولم يعد للظالم مداو . ولا للجور جوار. فما العلم الا جمال الانسان وكمال الاذهان .

اما العالم فهو لذة ثابتة للعالم . وتعزية له في الام العوالم . وبينما ذلك فلا يخلو من النكد . والتشبث في الحقد . على ان العالم . لا يبرح متبابل البال . قلق الحال . لا يسكت لبه . ولا يسكن قلبه ولا تهجع افكاره . ولا تصمت اذكاره . فنومه ارق . وسكنته قلق . وراحته تعب ووصب . وجهاد ونصب . وسروره غموم . وضحكه وجوم . فيرى الدنيا مطارح تكاذيب . ومسارح اكاذيب . فاذا اعتبرته لا يعتبرها . واذا عرفته ينكرها . لانه لا يحفل بكل الاشياء . ولا يعبأ بحركات الاحياء . فالمراتب عنده مكارب . والمناصب مغاصب . والاموال اثقال . والاحسان قيل وقال

وهاك مثالى الى طالب علم

عرفت اصلك مما فيك من ثمرٍ	يا غصن فضلٍ بدا من اطيب الشجرِ
تجنى اجل ثمارٍ منك ناضجةً	وانت في الدوح تجنى جودة القدرِ
فكن الى كبد العلياء متصلا	يا ايها الغصن واخطر امن الخطرِ
لمثل شخصك حق المدح من رجلٍ	يرى التقي والتقى خيرًا من الدررِ
فالمرء يذكر بالالاء جابهُ	لا باللالى ويزرى التاج بالشعر
اتيت تسترجع العلم الذي شردت	به المقادير من مصرٍ فخذ وسرِ

تسلسل العلم من مصرٍ الى عجمٍ ... للروم للعرب للافرنج فليدرِ
وان تعكر بالاراء لا ضررٌ ... فربّ نفعٍ اتى من موقع الضررِ
فالنيل وهو عكير الوجه يطفح في ... مصرٍ ويودع فيها اروق الاثرِ
فاستقبل العلم مفتوح البصيرة كي ... يمرّ فيها مرور الطلع في الزهرِ
فالعلم في راس من ضاعت بصيرته ... مثل السراج بايدى ضايع البصرِ
هذا قد افتتحوا دنيا العلوم بلا ... شوم نظير افتتاح الشام من عمرِ
فاغنم فلاح افتتاحٍ عزّ مطلبه ... وكن عليه على نصر على ظفرِ
عهدي بمثلك يقضى الليل معتنقاً ... عطف الكتاب ولم يسام من السهرِ
وانت غضّ الصبا كالغصن واعجبا ... لا تنحنى تحت اثقالٍ من الثمرِ
هذا ساوِيك عجيبٌ ما له مثلٌ ... كما بدا لى من امثالك الكثرِ
فكن اذا مستريح البال سوف ترى ... عليك يهمى جزاء الجد كالمطرِ
ولا معابٌ لانثال الدنار سوى ... صولٍ وطولٍ وكف هاملٍ همرِ
يشكون في مصر دهر المايبات ولا ... ارى بمصر سوى الخيرات والبدرِ
كلٌّ على الدهر بالشكوى يضجُّ ولا ... ذهرٌ سوى بشرٍ ضجت على بشرِ
وكم من الناس يشكو الانكسار على ... خبثٍ وكم كاسرٍ في زى منكسر
ياصاحبي ياصديقي ياامين على ... عهد الولا وارد النعمى بلا اصدرِ
كن شامل الامن من ارصاد ذى نكد ... ولا تخف قط سحر الحاسد الخطرِ
فمن صباح العنايا انت في سحر ... وليس يثبت فعل السحر في السحرِ
وان ظهرتَ لدى الحساد ذا قدمٍ ... بلا قدوم فذا من افة النظرِ
وتحسب الارض والاجيال جامدة ... بينا تمرّ مرور السحب والغدرِ

ها انت في رتبة عليا وفي شرف ... سام وفي سيرة من احسن السير
رمتَ التصاغرَ لما قد علوت فسم ... اوجاً فهذا اتضاعٌ موجب الكبرِ
فالبدر يصغر ما يعلو ويكبر ما ... يدنو وفي الحالتين الاوج القمر
علمتُ حقك فاستحسنت مدحك ما ... بين الورى فاغتنم وصل ابنة الفكرِ
ولا تقل بئس شعرٌ جاء من رجل ... في دينهِ اقبل الرحمن في صورِ
بلي انا من بني عيسى وما منعت ... هذه الكناية كوني ناظم الدررِ
قل لي متى غيرّ الدين الطبيعة از ... حيا اعتباراً لشيءٍ غير معتبرِ
هذا وإلا فخير الدين يرخذ من ... خير الانام وحكم الدين بالاثرِ

حال الجهل

اما الجهل فهو عدم العلم وآفته . وقاعدة التوحش ودعامته وعلامته ورايه . وما الانسان انسان الا بالعلم . ووحش ضار بالجهل الملم . فالجهل عثرة السائر . ووعكة الحاير . وعماء الناظر . وتيه الضايع . وخرس الناطق . وصم السامع . واينما حلّ رحلت اللائح . ونزلت القبائح . وسقط النار . ونهض العار . وسكنت صوادح الفطن والفكر . ونطقت جوارح العيّ والحصر . ونكس راس العلوم والمقبول وشمخ انف المجهول والمرذول . ووقع الاجايع . رتلع الاكثع . وسبق ذو القزل . واصاب ذو الشلل . وانثنى اللئيم وافتقر الكريم . وهار الهدى والصواب . وتباه الخطا والمعاب . وتتوج راس الاسير وتقيدت رجل الامير

اذا حكم الخطا فنيل الصواب ... فلا شرعٌ هناك ولا كتابُ
واعلم ذا المـــلا يعنو ويدنو ... واجهلهم يسود ويستهابُ
فلا عجبٌ اذا ما السحب هارت ... ولا بدعٌ اذا شيد الضبابُ
وللحصباء في البطحاء ريٌّ ... وفي العلياء للشهب التهابُ
ولكنَّ الحصا للوطي عدَّتْ ... وللجليانِ قد عدَّ الشهابُ
فما للجاهلين سوي افتقارٍ ... ولو تبرا لهم عاد الـتراب
وما لذوى النهى الا ارتواءٌ ... ولو اجري اللظى لهمُ السحابُ
فما نفع الجهول غداة خطبٍ ... واين نراه ان جدَّ الطلابُ
اذا حاز الغنى اضحى اثيما ... ولبس يروقهُ الا الخرابُ
بجدٍّ وراء كل ردى وشرٍ ... وينصب كلما خفضت رقابُ
لان الجهل يورثُ كل طبعٍ ... قبيحٍ فالجهول اذاً مصابُ
وان اعطي السيادة وفق دهرٍ ... بغى ولبيغهِ شاب الغرابُ
فتنحبُ يوم ميتتهِ المعاصي ... وتبجُّ يوم مولده الكلابُ
فيحيي اثمـا ويموت كفرا ... وينشر كي يداهيه العقابُ
ولكن ذو النهى غوثٌ لكلٍ ... وغيثٌ لا يكف له انصبابُ
اذا خان الزمان هو الموافي ... وعند المشكلات هو الصوابُ
وان فقر أغنى واذا أغنى لم ... يعد بسوى مكارمهِ يعابُ

اما الجهل فهو مصيبة الجاهل . وعطشه في المناهل . ومع ذلك فلا يبرح الجاهل صاحب الفرح . عدو الترح ساكن البال . رايق الحال . مرتاح اللب . خالى القلب . يبسم مدى الدهر . ويقهقه في كل امر .

ولا يعبأ الا بالحال · ولا يفكر الا بالمحال · فتراه هائماً بالاموال · وضاربًا في وادي الامال · يتوقع المراتب ولو بعدت عنه ويستعطف المناصب ولو نفرت منه · ويستحب الباغض · ويستفتح القابض · وربما تقلد السيف وهو الجبان · وطلب الكرامة وهو المهان · وقد جرى ما جرى · فقلت لمن درى · وفي كل ميدان مجال · ولكل مقام مقال

اسيرٌ ينادى العنق يادهر لبهِ حبوهُ حلى التشريف لكن لسبهِ
ارى الظبي لا يشتاق الاكناسهُ وذا الجنح لا يلتذ الا بقضبهِ
ففى قفص البلور للطير سجنه وللظبي في صرح العلا كل كربهِ
وهبك وثاق الاسر صيغ من الندى فهل لاسيرٍ غلٌّ فيه روًى بهِ
فما لامرءٍ عيشٌ سوى بين قومه ولا محسنٌ للمرءِ غير محبهِ
ايخدعني خصمي بحلو كلامه اذا كان مرّ البغض يجرى بقلبهِ
وما هو الا الغبن ان يقبل الفتى سلام الذي لا يرتضي غير حربهِ
ومن صغرٍ في النفس بسط امرءٍ يدا لمنحة من لم يسع الا بسلبهِ
وكم سارقٍ اغرى صغيرًا بفلسه ليغتال دينارًا راهُ بعبهِ
اذا كان لى يومًا لسانٌ اقل ولا اخاف وما خوف الفتى غير شجبهِ
ولا ريب ان الموت خيرٌ لعاقلٍ يعيش اسيرا للعدوّ وصحبهِ
اذا كنت ذا عضبٍ فكن ربّ ساعدٍ والا فخلّ المشرفيّ لربهِ
ومن لم يكن للسيف اهلا فلم يكن على جنبهِ ذا السيف الا لضربهِ

حال التمدن

كل حال، تدور على هذه الحال . فهى قطب كل الاحوال . ولا باسط لحقايق التمدن الجليل . ابلغ من تلاوة الانجيل . فهناك التمدن وقراره . ومحوره ومداره . هناك يقوم تاديب الطبيعه . وتهذيب الشريعه واصلاح السيره . وفلاح السريره . وتبادل الحب والولا . وتراضي البغض والقلا . ومحبة القريب . واجارة الغريب . وصلة الفقير . ومواصلة الصغير . وعيادة المريض . ومواساة المهيض . وزيارة الاسير . وجبر الكسير . وتعزية الحزين . والرفق بالمسكين . واحتقار المال . واعتبار الاعمال . والتزام الخالق . واطراح الخلايق . وطلب الصالحات . وترك الطالحات . فهذا اختصار التمدن المطوّل . وما عليه المعوّل فلا تمدن بين اوليك الذين يتعرون من هذه الصفات . وينفرون من تلك الكمالات . فلا يقوم التمدن : ادى من اغتنى عن فعله بالاسم . واقتصر عن حدهٔ بالرسم . ولا تمدن بين اوليك الذين يخيطون الثياب . ويمزقون الثواب . ويحسنون المسير . ويسيئون المصير . ويجلون الخُطا . ويجعلون الخطا . ويمسكون العصا . ويرتكبون العصا . وينصبون الميزان . ويكسرون الاوزان . ويعجمون لسانهم . ويرجمون انسانهم . فيتفاصحون بالعجمات . ويتعرفون بالنكرات ويتداولون المجهولات . ويتجاهلون المعلومات . وينظمون الموضوعات . وينثرون المحمولات . ويحبون الظواهر . ويبغضون الضوامر .

ويحفلون بالمسعى . ويتجعون بالرجعى . ويتغايرون بالرزايل .
ويتعايرون بالفضايل . ويجحون الى الاموال . ويجنحون عن الاعمال
ويلبسون الخطل . ويتغاون بالعطل . واين التمدن من اوليك
الذين يتخذون دون ربهم ربّ المطروق . ويلهون عن الخالق
بالمخلوق . فيحفلون بالابدان ويخلقون بالاديان . اذ يعبدون الملابس
ويكفرون بالمقادس . وهم في جهلهم يعمهون . وفي طغيانهم يتيهون .
فكل منهم لا يعلم علما . ولا يفهم فهما . وهو يشتمُ الدين وقضاياه .
ويرفضُ الناموس ووصاياه . ويلغو بالرعاة وهو الضال . ويرغو
بالرشد وهو الخال . ويتفاصح بلسانٍ معقود . ويحاجّ ويصغى بنطقٍ
مفسود . وسمعٍ مسدود . فهنا السباق الى المهاوى . ومضمار المساوي
وعناق الرزيلة . وطلاق الفضيلة . حيثما تحتبك المعاصى . وتشتبك
النواصى . فاين التمدن من هذه الاطوار . بين اوليك الاشرار . الَ
التوحش . واولو التحرّش .

حال المال

ولما كثرت جموع الملا . وأَنسوا وحشة الفلا . وعلق الخاطر
بالخاطر . وانضمّ البادى الى الحاضر . هفا الجار الى الجار . وذكت النار
بالنار . واشتغلت هيئة بهيئة . واحتاجت فيئة الى فيئة . فتبادلت
الناس صلات الخدم . واشتف كلٌ الى كلٍ والتزم . واذ كان
الانسان يحب خيره . ويمقت غيره . ويسام السوال . ويسوم الاستقلال

لم يمكنه استخدام الغير . ما لم يف الخير . فجرت الامور بمجري الاجور وهكذا كان الناس يتقايضون المتاعات . ويتبايعون البضاعات . فالبهايم بالبهايم . والغنايم بالغنايم . والمحاصيل بالمحاصيل . والمثاقيل بالمثاقيل . وما زالوا على هذا السلوك . حتى ابتدعوا المسكوك . فابداء الذهب لمعانه . واطال شوكته وسلطانه . واهتز كل لسطوته وارتعد وخضع الكل له وسجد . على ان الحيوة صارت تدور عليه . ومجد الانسان يقوم لديه . فبقدره يقدر الانسان . وبكثره يكثر الاحسان . وبوجوده وجد المفقود . وبفقده فقد الموجود . فهذا ما يقال له المال وما عليه مدار الاعمال . فالمال رب قدير . وسلطان نصير . تندك لهيبته الجبال . وتعنو لديه الملوك والاقيال . ويخشاه الزمان . ويرهبه الحدثان . وتنطفي منه النوايب . وتختفي الشوايب . فبه الجاهل يعقل والخفيف يثقل . والجبان يشجع . والبليد يهرع . والفهيه يفصح . والمعتوه ينصح . والاخرس يسجع . والاصم يسمع . والعبد يسود . والاعمى يقود والحقير يعظم . واللئيم يكرم . والمقوت يرد . والمهمل يعد . اما بدون المال فالعاقل يحسب جهولا . واللبيب مهبولاً . والعزيز ذليلاً . والاصيل دخيلاً . والنبيه فهيهاً . والفقيه سفيهاً . والصحيح سقيماً . والكريم اثيما . والطيب خبيثًا . والقديم حديثـاً . والشجاع جبانًا . والوفي خوانًا . والمستقيم معوجًا . والحي مسجى . والمحب مبغوضًا . والصديق مرفوضًا . وكل ذلك يعلمه الجاهلون . ويجهله العاقلون

* هذا حال الغني والفقير *

جلس الغني على ذلك الديباج العظيم . واحقوقف الفقير على مخلوق الادئم . اما الغنى فكان متسربلاً بالارجوان . مزروراً بالجمان وعلى راسه اكليل مرصع . وفى اصبعه خاتم يسطع . والحفدُ يطوف حوله . والحشم يمتثل قوله . اما الفقير فكان ملتفاً بالاسمال والاطمار . وممنطقاً ومبرقعاً بالاتعاب والاكدار . وعلى راسه عمامة خلقة . وفي اصبعه خاتم حلقة . فرفع الغنى الى الفقير نظره وحملقه وشذره ثم قال له بلسان جري . وصوت جهوري

الغنى . ما شانك والجلوس امامي . والحضرة في مقامي . يا ايها الرجل الحقير . والانسان الفقير . فكيف جسرت على الدخول في هذا الباب . وشجعت على هذه الاعتاب . ومن انت وما انت . وكيف وجدت ومتى كنت . اما تدرى ان الاغنيا سلاطين الزمان . وارباب الاوان . وهيبتهم تهول الحدثان . اذا تحركوا حركوا . واذا نطقوا استنطقوا . واذا خاطبوا خطبوا . واذا طارحوا طرحوا . فهم الذين يسودون الجماعة . ويتصدرون في كل قاعة . يخطرون في اعظم الثياب . ويسحبون مطارف الاعجاب . لهمُ المقامات العليا . ولاجلهم خلقت الدنيا . فيجتنون مسرّاتها . ويقتطفون ثمراتها . ويهصرون كل عود . ويجندون كل جود

الفقير . لا تفتخر ايها الغنى بغناك . ولا تعجب لجمال مغناك . فما ذلك بصالح الاعمال . وما كان الا للزوال . ولو كنت دهقان الزمان وقهرمان الحدثان . فستظلمُ بسراجك . وستدرجُ بديباجك . وانت

في الاكليل مكبول . وفي الغلايل مغلول . تحوي قلقاً . وتجبي ارقاً . وانت غريق بلجج الاعمال . وحريق بنار الامال . لا ينعم لك جنب ولو توسدت النعام . ولا يترخم لك منزل على الرخام . فلا تفترا ليف الجهاد . وحليف الاحتشاد . بينما لا يبرح قلبك متمزقاً بانياب المطامع ولا تزال مجامعك متفرقة بين المجامع . فكلما أُعطيت استعطيت . وانما استعصيت عصيت . وكيفما بجِلت بخلت . وكلما بخلت خبلت . وحيثما حسبت حسبت . وايان نسيت نسبت . فانت المثري المرثى . والذهب المغثى . اما سلطانك فعلى نفسك . وتجنيك على جاني فلسك وهيبتك على اهلك . والا فتهلك . فما اعتبروك الا ليعيروك . وما مجدوك الا ليجهدوك . وما اصطفوك الا ليقطفوك . وما صدّروك الا ليردوك . حتى اذا ما فنيت استقفوك . وقالوا املك وابوك

الغنى . اخس اخس ولهذرك انس . فنحن القوم الكبار . وانتم الناس الصغار . ونحن الاعيان الرفاع . وانتم آل سوقة الرعاع . فهل تقومون الا بنا . وهل تمطرون الا بسحبنا . فطالما غيضنا منكم البكا . وفيضنا عليكم الوكا . وانتم تدرون ولا تفعلون . وتفعلون ولا تدرون فكلكم اهل متسلوف . وما منكم رب معروف . فلتعش الامانه . ولتمت الخيانه

الفقر . اصمت صهْ . اسكت مهْ . فما دعواك هذه الا ابنة الجهل آفة الاغنياء . وحليفة الكبرياء . فاذا راجعت النفس . ترى العكس . اذ انتم بنا تحيون . ومن مناهلنا تروون . فنحن الفيئة الكبرى

وانتم الفرقة الصغرى . ونحن فعلة الطبيعة . وشغلة الارض الوسيعة . نحرث الارض ونشتغلها . ونسكن الرحاب ونأهلها . فلا نحتاج اليكم ولا للمثول لديكم . اذ نقتات من النبت والشجر . ونلبس الصوف والوبر . ونستضيء بالشمس والقمر . ونتوسدُ التراب والحجر . على نعيم البال . وخلو البلبال . وصحة البدن . وطيب الفدن . اما انتم فماذا تعملون اذ لم نرقدكم . وكيف تعيشون اذا لم نفدكم . يانسل البليد واهل التليد . فهل يغنيكم التبر عن التراب . والاكتان عن الرحابِ . والياقوت عن القوتِ . والبحر عن الحوت . انما الدرُّ من الصَدف والانتظام من الصُدف . فاذا اطعمتمونا بمالكم . فلنيل امالكم . واذا عاملناكم باعمالنا . لتخفيف احمالنا . فانتم تحيون بنا . ونحن نشتغل بكم فلا تحجونا لثلبكم او لسلبكم

الغنى . فنهض الغني على قدميهِ . وبسط جفون عينيهِ . وكشَّر اسنانه ودلع لسانه . لماذا اكثرت شتمى . واطلت رجمى . وانت تغيظنى بخطاك . وتعدي عن الحدود خطاك . هاتكاً حرمة الادب . وفاتكاً بسطوة النشب . فلا اعتبنَّ عليك . واذ لا تهذيب لديك . على ان الفجور من شان الفاقة . وما اقبح الفاقة والحماقة . فلا يجود الفقير . ولا يسود الاسير

الفقير . الشتم بالشتم . والرجم بالرجم . ولو لم تتخطَّ الادب . ما استنطقتك العتب . فانت المبتدي . والمبتدي معتدى . والادب من خلق النفس . كالنور من الشمس . لا ياتى بالكتاب . ولا بالجد

والطلاب . فمن لم يكن ذا استعداد . لم يفز بالمراد . فلا علمٌ يفيد . ولا معلمٌ يقيد . والتربية في الاقلال . اعظم منها في الاموال . فالفقير يثقفه الكد . ويهذبه الجد . وتربيه الايام وتصلحه الانام . فتحسن صفاته . وتحمد اوقاته . ويامن شر النكد . وضرّ اللدد . ووقايع المباراه . ومواقع المداراه . وشوايب المناجاه . ومعائب المداجاه . فيعيش بلا كدر . ويموت بلا حذر . تاركا حسن الاثر . اذ لا يعتني في لعلّ وليت . ولا يتهمّ خراب بيت . ولا يتهنى بانقلاب صيت . ولا يتكنى بالخرّيت . فيكون كل كنزه في الحصول على خبزه . حتى لا يخامره مرض المطامع ولا مضض المسامع . فيخلو من الحسد المفترس . والطمع المختلس . والكبرياء الوحشيه . والاميال المحشيه . اى كل الانفعالات التى تحرق الانسان . ولو كان في الجنان

حال الحرب .

خربت الارض خرابا . وانقلبت الجماعة انقلابا . لان الحرب اتشبت . والفتنة انتصبت . فتباعدت الشعوب . وتنافرت القلوب وخيّم سحاب البغض . واكفهرّ محيّا الارض . حتى اذا ما كثرت مضارب السيوف . وتطنبت مضارب الحتوف . جرت الدماء كالجوارى وتضوّرت الناس كالضواري . فهبطت جواشن النظام . وانقلعت شواجن الانضمام . وانثلت عروش الصنايع . وانسدّت مسالك البضايع . وسقطت التجارة . وانقطعت الاجاره . وتقوضت البلاد

وانجزر الامداد . وذهب الجار يعوث بالجار . والمزار يشط عن المزار وراح كلٌّ يزيغ في وعث البلي . ويروغ في وعكة القلي . فما هذا الدثار العام والدمار التام . انما هو الحرب والطعن والضرب . حيثما الفيالق تحمل على الفيالق . والبنادق تسطو على البنادق . والكتائب تتجاذب الكتايب . والركائب تغور على الركائب . والقنابل تصادم القنابل . والذوابل تستميل الذوابل . فتنكسر السنابك على السنابك وتلتطم المسابك في المسابك . اذ تلعلع المدافع باهوالها . وتهال الارض فتزلزل زلزالها . بينما تخفق القماقم . وتتطاير الجماجم . وتتساقط الهيا كل المتحركه وتنهدم المباني المدركه . يوم يصفرُّ البحر بالامواج وتلغط الاودية بالرجراج . ويلبس الجو جلباب القتام . وتغور السماء في حجاب الظلام . ترقد عيون الدراري . وتدلهم وجوه الثراري . فظلماتٌ بعضها فوق بعض . وبلا بل تبابل السماء مع الارض . فما ذاك من شان الصواب . وما هو الا رجسة الخراب . ووقوع العذاب والمصاب . فكيف تنزل البشر منازل البهايم العاريه . ويفعل الانسان فعل الوحوش الضاريه . اذ ينثر عقد شمله . ويفرّق مجامع جمله . شاهرًا حسام القراع . وساهرًا باعين النزاع على عزيمة الصراع . ليختلس خيرانه . ويقتبس اقرانه . محرضًا من عدو الطمع الالدّ . ووساوس الحسد الاشد . يستزيد ذاته بنقص الغير . وينسج خيره بنقض الخير . ولذلك لا يفتر مشتغلا بتتميم العدد . وتكثير العدد . فسوف ينجم النقصان عن التمام . ويستقر الوجود من الاعدام

والحسام يبطل الحسام . فالضرب يغلب الضرب والحرب تقلب الحرب

حال السلم

ولما وقعت دول الحروب . وسكنت حركات الشعوب . تبسم ثغر السلم عن شنب الهدو . وطافت كؤوس البشرى على الاصال والغدو واسفرت الارض عن محيا الابتسام . فاغتبطت الناس في بشاير الامن والسلام . حتى اتشحت البوادي بجلابيب التهاني . وامتصت الصوادي انابيب الاماني . وعاد الوري بنضم الى الورى والقوم يحمدُ السرى . وازدهت البلاد . وازدهرت العباد . وتمكنت مباني الاعمال . وتوطدت مغاني الاشغال . وبذخت قصور العمار واستقرت متون القرار . وانتظمت سلوك الوفاق . وانفصمت عرى الشقاق . فخرس الفم الفاغر . وانكسر الذراع الكاسر . وانقهر الطبع القاهر . حتى نام الطرف السهود . وطاب الفواد المفوود . ونعم عوف الجبان . وامن خوف الزمان . وفكّ الغنى طلاسم كنوزه . واخذ الذهب ببروزه . فرنت الاغاني في المغاني . وغنت الاواني على الاواني . وقلّص نهار الافراح ليل الاتراح . واستظهرت الاقلام على الصفاح . فما هذه الحالة الهادية . والعيشة الراضية . انما ذلك طلوع السلام . ووقوع الخصام . حيثما تنعم الناس . ويتبادلون الايناس . امنين علي بيوتهم . وظافرين بقوتهم . فيعيشون حسب

خوفهم . يموتون حتف انوفهم . فليعش السلم المبتغى . وليمت الحرب والوغى

حال الحب

انما الحب رباط الجمهور . ووفاض الامور . وصديق السراء وعدو الضراء . به تتفق الشعاير . وتلتصق العشاير . وتبلغ الاوطار وتغلب الاطوار . لا يقوم لديه عنيت . ولا يسطو عليه صليت . اينما حلّ رحلت الشرور . ونزل السرور . ونهض الوفـاق ووقع الشقاق . لا يتوطد بيتٌ الا به . ولا يثبت قومٌ بانقلابه . فهو الاساس المتين . والعضد المعين . وهو البطل المغوار . والعسكر الجرار . لا تنزل راياته الخافقه . ولا تنذل غاراته الدافعه . له الغار كلما غار . والفوز اينما سار . والسطوة حيثما ثار . وله الاعتبار والكرامه . والمجد والفخامه . لا يقبل الشين . ولا يرضى المين . ولا يصحب خلقًا ذميما ولا طبعًا لئيما . ولا يلامس متصلفًا . ولا يداني متجهرفًا . ولا يرافق الكبريا ولا يواصل الرياء . ويرفض النفاق . ولا يقبل الصداق . فهو السماحة والحق . والدعة والصدق . والتواضع والايناسه . والشرف والنفاسه والكرم والجود . والرفد والوفود . والغوث والاعانه . والاحسان والامانه . وينقسم الحب الى خمسة اقسام . وهي الابوي . والبنوي . والاخوي . والودادي . والعشقي

اما الابوي فهو حب الاباء لابنايهم ولا يوجد اصدق واثبت من

هذا الحب · فلا تغيره الايام · ولا تعارضه الاعوام · اما البنوي فهو حب الابناء لابايهم · وهذا الحب ينحط الى المرتبة الثانية · انحطاط المعلول عن العلة · فلا يبادل الابن والديه مساواة الحب · على ان الابن لا يشعر بمحبة والديه الا بعد محبتهما له مدة طويلة اعنى كل سن الفتوة · والاغلبية للمتقدم · وبينما يعقل الابن ويبتدي ان يحب والديه يعود مشعرًا بصعوبة تربيتهما له والتزامه بالطاعة لهما · فاذ يكون مطبوعًا على حب الحرية يرى نفسه غير حاصل عليها · فلا يمكنه ان يحبهما بمقدار حبهما له لمعاضتهما اياه في سلوكه واذا كان نشاه على خوفهما · فلا يجتمع حب الشي والخوف منه معًا فيكون اذًا الحب الابوى طبيعيًا · والبنوي اديًا هذا اذا لم تقل ان الحب نتيجة الموالفة

اما الاخوي · فهو الحب القايم بين الاخوة · وهذا هو نتيجة الموالفة محضًا · وقد ينقص ويزيد بمقدار هذه الموالفة · وقد يشتد في البعض وينقص في البعض · وقد لا يوجد ابدًا تبعا لاداب الاخوة وتربيتهم وما تعودوه من ابايهم . اما الحب الودادي فهو الحب الذي يوجد بين الاقارب والاصحاب . وهو نتيجة الموالفة ايضًا · وهذا اما انه يكون مخلصًا · اما انه يكون لغرض فالمخلص نادر · والغرضي كثير ومتواتر · وربما انقلب الغرضى الى مخلص والمخلص الى غرضي تبعًا لقراين الاحوال ومواقع الاعمال

اما العشقي · فهو حركة تشمل القلب وتشغل الخاطر · اما حصولها

فيكون اولاً على طريقة الوداد . او الميل البسيط ثم ترتقي الى درجة الحب . وهو الميـل الثابت الى المحبوب . ثم تصعد اخيرا الى درجة العشق وهناك اذا افرطت تدعى بالهوى او الجوى او الغرام وذلك حسب قوتها

فاذا نزل العشق في قلب الشخص رحل صوابه . وصارت كل افكارهِ تدور على هذا الاسم . وهكذا فتعود كل تصرفاته منصرفة الى وجه الحبيب بحيث لا يعود ساعيًا الا في سبيل مرضاته ولا يطلب الا شهوده حيثما يغدو موقعًا للاعب الالام . ومهما لعواصف الاميال فيهم ديار . ويروغ ويغار . واذا تبدّل شهوده بالغيبة تلاعبت به خمرة الاشواق . وعبثت بقلبه نار الانواق . فيحنّ ويأنّ . ويضيق صدره . ويضطرب فكره . ويأخذه القلق . ويشمله الورق . ويتصعّد وينهّد . ويهيم الى الطرقات . ويرصد الطاقات . ولا يلذ له سوى ترداد ذكر الحبيب واللهج به

ومن عادة العشق ان يلطف طباع العاشق . ويجعله سميراً ونديما ولبيبًا . ويرقي طبيعته . ويرقص افكاره . ويدعوها الى رقة الغزل والتشبيب بالجمال . حتى يعود يمكنه التلاعب باحوال كل الوجود فيصير مصوراً للطبيعة اذ يتوهم فيها الصور المحبوبة لديه . وشارحًا لكل الحركات والظواهر المحيطة به اذ يرى ان لكل منها خدمة في بيت الحب ولعبًا في مشهد الهوى على انه يرى ان الخليقة تتنفس لديه بالحيوة وتنفس كربه وترعرع مثواه . فيناجي الافلاك ويرسم الرياض

ويخاطب الازهار . ويطارح الاطيار ويشخص الليل والنهار . ومن ذلك ما اقول

نفضَ الشرقُ على وجه المغيب غبرة الديجور
وسعى الصبح على العود الرطيب بكؤوس النور
فانثنى يرقص والامر عجيب رقصة المخمور
بقوامٍ خلتُهُ قدّ الحبيب اسكرته الحور

دور

والنسيم العذب يجرى في الصباح حامل الرند
وعلى الازهار فوق الدوح صاح بلبلُ السعد
وندى الفجر على النسرين لاح طالب العقد
قد حكى درًّا على جيد ربيب او على كافور

دور

ومهاةٍ اقبلت اثر النهار تحت ظل الليل
اقبلت بعد عتوٍّ ونفار تستعيد الميل
وهى تدنو بحياءٍ وافترار والهوى كالسيل
زورةٌ قداولت الصب الكئيب بهجة المسرور

دور

حبها القاسي وقلبي ارتبطا برباط العهد
انما عقد اصطبارى انفرطا بالجفا والصد
وفؤادى لم يزل مختبطا في الجوى والوجد

وانا بين عذول ورقيب انجـز المقدور

دور

سبحة لى كلما مدت يدا صاد قلبي القلب
ذات قد بردا اللين ارتدى ليت ذا للقلب
وانا عنها ولو ذقت الردى ليس لى من قلب
اه كم جار على قلبي السليب جفنها المكسور

دور

دمية عجباء ما بين الدمي تفضح الغيـدا
ربية ترتع في قلبي فما تعرف البيدا
ذات عقد يزدهيني كلما يلبس الجيدا
وعيون كيفما دارت يصيب نبلها المحذور

ومن ذلك

بالله قولى لنا يانسمة السحر من اين جئت بهذا النافح العطر
ومن امدك كل اللطف واعجبى حتى غدوت بشير الصبح للبشر
وما فعلت مع الروض الانيق فما خطرت الا وفاقت اعين الزهر
واي سر ترى فيك الطيور فما سريت الا وغنت فى ذرى الشجر
فهل سبقت عروس الصبح وهي على نار فقبلت خد الورد من قمري
وهل ضممتى رقيق الخصر منه وقد ثملت بالراح بين الطلع والدرر
وهل شرحت لخود الروض يقظته عند الصباح امام النرجس النضر
وهل رويت لاسماع البلابل عن وساوس الحلي بين الورد والصدر

فها جنيتِ على كل الانام بما جنيت من ذلك الوسنان في السحر
بالله ياريح ان مكنتِ ثانية من صدغهِ فاقبضي فيهِ واستتري

ومن ذلك القبيل

اذا خطرت نسيمٌ من سعاد اثارت كل شوق في فوادي
وان لمعت بروقٌ من حماها همى من اعيني صوبُ العهادِ
نجومَ الليل هل تدرين اني نظيرك لم اذُق طعم الرقادِ
فقصي يانجومُ عليَّ مما علمتِ من المواقع والجهادِ
فليس سواكِ لي ابدًا سميرٌ يعزيني ويعلم ما مرادي
ويروي لي حديث ذوي التصابي ويسعفني على حمل السهادِ
ويا ورقاء فوق الايك ناحت أمن هجر نواحكِ ام بعادِ
اراكِ ترددين عليَّ لحنًا يذيبُ سماعهُ قلب الجمادِ
فقد هيجتِ مهجة كل صب وقد رنحتِ معطف كل شادِ
ويا قُضُبَ الاراك اراكِ سكرى لعلك شمتِ ثغر سعاد بادي
فميلي ياغصون عليَّ ميلي نعم بكِ للهوى لعبت ايادي
ويا زهر الربى من اين اتٍ عبيرُكِ هل شممتِ شذا سعاد
فعدت باعينٍ سهرى وجسمٍ نحيلٍ واهتزازٍ وارتعاد
ويا ماء الغدير اراك مثلي تأنٌ ولست مفؤد الفؤاد
فانت على فراش الوصل تجري طوال الدهر من دون ابتعادِ
رويدك ياغرامُ فكلُّ خافقٍ غدا بيديك مطروح القيادِ
فكم يافاسدًا لك من صلاحٍ وكم ياصالحًا لك من فسادِ

وكم ياداعياً لك من مجيب وكم ياظالماً لك من منادى
فما من دولةٍ دامت ولكن لدولتك الدوام على التمادي
وكل فتى لها عبدٌ ولكن نظيرى ليس يوجد في العباد
فواعجباً لقلبي كيف يقضي شروط الاسر وهو بلا رشاد
وغانية علقتُ بها غراماً بدت لى كالزلال لقلب صادى
فهمتُ الى ورود الثغر منها عسى الجريال يروى ذا اتقاد
وعيس صبابتي تسعى اليها على لغبٍ وداعى الشوق حادى
اسيرٌ ونصب عينى نار سلمى وبين جوانحي قدحُ الزناد

ومن ذلك الوجه موشح

لاح بدرُ الحسن من برج الحما فنضى بالنور سجف الغلسِ
وسقانا اذ رنا مبتسماً خمرةً قد عصرت من نرجسِ

دور

قمرٌ ضاء سنا طلعتهِ في دجى الشعر فلا غاب القمر
وبدا الورد على وجنتهِ فغدا للقلب يحلو والنظر
كتب الحسن على غرتهِ لاينال الوصل الامن صبر
وعلى قلبي هواهُ رسما صور الشوق بنار الهجسِ
واعاد الطرف يرعى الظلما والدراري صرن لى كالحرسِ

دور

هزَّ من قامتهِ رمح الهوى وانتضى من جفنه سيف القضا
وانثنى يسلب روحي والقوى بعدما قد كان عني معرضا

ليت يدري ما بقلبي من جوى علّه يبكي عليه ان قضا
صحتُ مذ اورث جسمي السقما بالجفا وهو شفاءُ الانفسِ
ياغزال الحي رفقا بي فما تركت عيناك لي من نفسِ

دور

ايها الغالب بالطرف الكحيل مغرمًا يرعى الصبا والوصبا
ته بما شئت فلي صبرٌ جميل اذ ارى الدنيا لمن قد غلبا
لك ثغرٌ باللما يشفي العليل بابي افديهِ ثغرًا اشنبا
ورضابٌ ليتهُ يطفي الظما من فواد فيه نار القبسِ
ودلالٌ بعذابي حكما فانا اليوم كثير الهوسِ

دور

زارني والليل كالبحر اعتكر وبهِ الشهبُ جرت كالسفن
والدراري قد حكت فيهِ الدرر او عيون الغيد اذ تغمزني
وعلى كل الوري الفى القمر حزم النور وهم في الوسن
فلثمتُ الخدَّ منهُ والفما وهو يسبيني بلطف الميسِ
والدجى مدَّ علينا خيمًا ليت لا تطوى خيام الحندسِ

دور

وانثنى عني وقد لاح السحر والتهى كلٌّ بتوديع الحبيب
والندا كلّل تيجان الزهر وشدا الطير على الغصن الرطيب
وضياء الصبح في الشرق انتشر وانطوى الديجور في وادي المغيب
فلكم ذاق فوادي الما حينما ودعتُ كرهًا مونسي

ولكم اجريتُ دمعًا كالدما   من عيون في الهوى لم تنعسِ

دور

جرّد الافق على عنق الظلام   صارم الانوار والقطبُ يدور
وغدا للصبح في الشرق اضطرام   ولجيش الليل في الغرب فتور
فبكت للبين اجفان الغمام   ادمعًا لاحت بافواه الزهور
ونجوم الاوج غارت في السما   وتوارت في حجاب الاطلس
وفؤادي قد غدا مضطرما   مذ تقضى طيب ذاك المجلسِ

دور

سطر الفجر على لوح الجلد   بيراع النور احكام النهار
فازدهى وجه السما بعد الكمد   اذ بدت شمس الضحى والنجم غار
وكذا الثور جرى خلف الاسد   راكب الحوت ودبّ الاوج طار
وصبت روحي الى ذاك الحمى   حيثما يرتعُ ظبي الانسِ
فهناك الحظّ لي قد قسما   في الال قد مضت كالعرسِ

دور

يااخا الاشواق سم صبرا على   ذلك الوجد الذي فيك جرى
راحل العشق ولا تشكُ البلا   فالهوى يجري على كل الورى
ان كاس الحب يحلو للبلا   وبه كلّ فؤاد سكرا
بئس قلبٌ لم يذق حبّ الدمى   نهو احلى من مذاق الاكؤسِ
ورعى الله فؤادا خضبا   بدم العشق وبالشوق كسى

دور

غرّد الحسن علي دوح القود ... فغدت ترقص اعطاف الجوى
واستوى الورد على عرش الخدود ... لابسًا حلة سلطان الهوى
والعيون السود بالسحر تسود ... ولها تخضع ارباب القوى
حدقٌ تفعل بالقلب كما ... فعلت كاس الطلى بالارؤس
ونهودٌ غادرتني ابكما ... دهشة وهي شفاء الخرس

ومن ذلك السمط

حتى مَ ياذات الجمال الاعظم ... تهوين تعذيبي فجسى اعظمي
مهلاً فقد بلغ الجفا ما شئت من ... جسدي ورفقًا بالشجي المغرم
قسما بحسنك وهو خير اليةٍ ... عدي وقط بغيره لم اقسم
لا ابتغى الاعتاق من اسر الهوى ... ابدًا ولو سفكت بواتره دمي
افدي التي ابدت لعيني وجنة ... تزهو بحسن تضرّج وتضرّم
قنواء اذ هزت قناة قوامها ... ناديت واتلفى وفرط تالمي
ياقلبُ هذا الحب فاحمل ضيمهُ ... علنًا ولا تسمع لهذر اللوم
واصبر على البلوى فكيف ترد ما ... دفعت اليكَ يدُ القضاء المبرم
قل للذي يشكو الهوى وهوانهُ ... سلم امورك للاحبة تسلم
ياربة الحسن التي سبت النهى ... يكفيك ما فعلت عيونك فارحمى
حللت فصلي وهو غير محلل ... وحرمت وصلي وهو غير محرّم
عودي المحب فسقمهُ لك شاهد ... عن صحة الحب الذي لم يسقم
لا اشكونّ لك الصبابة والجوى ... حذر الخيبة فارحمي او فاظلمي
فاذا راك القلبُ ضجّ كانهُ ... لك يقصدُ الشكوى على كره الفم

لا تحجبي عنى جمالك ذا السنى ... فبغير منظره انا لم أنعم

واذا حجبت بهاء ذاك الحسن عن ... عيني فانظرهُ بعين توهمي

والوهم يجلي للفتى ما لم يكن ... طوع العيان فكم بهِ من مغنم

افدي بروحي ذلك الوجه الذي ... جمع الجمالَ ولطفَ ذاك المبسم

زيحي لثامك يا ابنة الصبح التي ... قد اصبحت شرفاً لكل الانجمِ

فمتى ترى عيناي ما قتلت بهِ ... روحي عسى تحيي بمنظرهِ اكسى

فلو انجلت كل الغواني لي ولم ... أكُ ناظراً لسناكِ لم اتنعمِ

ان كانَ لا يبنى لغيركِ منزلٌ ... في مهجتي فصبابتي لم تهدمِ

فاذا بسطت القلب بسط مشرّحٍ ... وفحصت عضو العقل فحص معلمِ

تجدي بذاغيّ الهوى عوض الهدى ... وبذاك نيران الجوى بدل الدم

قومي انظري حوض المياه عسى اذا ... عاينتِ حسنكِ ترحمين تيمي

فلقد حويتِ منَ المحاسن ما بهِ ... اصبحتُ ذا قلبٍ بحبك مغرمِ

لك قامةٌ قامت بها طُرَفُ الصبى ... فحلت وطرفٌ كالظبا والاسهمِ

واواحظٌ ما غازلتني خفيةً ... الا واخفت في كلٍّ تألمِ

حدقٌ احلنَ دمي وكل عناصري ... بقوى الجمال الي الغرام المرغمِ

حتى غدوتُ بغير انسك لا ارى ... حظاً ولو قد حزتُ كلَّ تنعمِ

هذا هو الشرف الذي لسواكِ لم ... يسمح بهِ فتدللي وتحكمي

شرفٌ لديهِ كلُّ قلبٍ خافقٌ ... ابداً وكلٌّ فمٍ يرى كالابكمِ

ايحلُّ في شرع الهوى لكِ هجر من ... لم يرجُ منكِ سوى محادثة الفمِ

فانا وان كان الهوى بي محدقاً ... عفٌ نفيسُ النفس لم اتجرّمِ

ولقد صبرتُ على تباريح الجوى   صبرًا تعجب منـهُ كل متيم
فضعي يديك على ضنا صدري عسى   تدرين ما فعل الغرام باعظمي
وإذا الغرام اماتني كمدًا فذا   حقٌ قد استوفاه حسنك فاسلمي
ليت القضا يختال ان يلقيك في   وادي الهوى لتري عذاب المغرم
فمن المحال على خليّ القلب ان   يدري صبابات الشجي المكلم
اذني عن العزال واللوام في   صمم وطرفي عن سواك غدا عمي
بالايمي دعني فلا اسلو وهل   يصغي المحبُّ الى الملام المظلم
عبثت ايادي الدهر بي فاذبنني   واعادت العبراتُ مثل العندم
حتى كان جميع اعضائي غدت   غدرًا لافراز الهيام الاعظم
كم ليلة قد بات طرفي ناثرا   دُرر الدموع لدى دراري الديجم
ارعى مسير الشهب في كبد العلى   وانا انادي ايها الفجرُ اهجم
اذ ينجلي المريخُ كالدينار في   كف السما والمشتري كالدرهم
وكانّ جبار النجوم على الدجى   جبار قوم فوق صهوة ادهم
حيث المجرةُ نهرُ نور في السما   يسقي حديقة نرجس من انجم
فاذا نظرت الى السماء وجدتها   بنجومها مثل الطراز المعلم
فمناظر الافلاك راقت كل ذي   سهر فما اشقى عيون النوَّم
فالسهدُ مثل الشهد للعشاق قد   يحلو وللخالين مثل العلقم
ياللهوى كم قد ارقت دياجرا   بهوى غزال راح يغزو كالكمي
ظبيٌ اذا ما لاح صحت تشوقًا   يامقلتي هذا نعيمك فاغنمي
يا ايها الرشاء الذي سلب النهى   مني وغادرني اليف تظلم

كن راحمًا من قد سكنت فواده صبٌ لديك رحمت ام لم ترحم
واذا صرمت حبال ذياك الولا فانا لحبل صبابتى لم اصرمِ
ضحك الحسود شماتة لما راى منك القطوب فبكّهِ بتبسم
ليس الحسود يسود قط فقلبهُ متعذبٌ ابدا بنار جهنم

ومن ذلك النسق

مازال يعصى الهوى والحسن يخضعهُ حتى جرت في لهيب الحبّ ادمعهُ
صب الي كل حسناء صبا ولها لكن اليكِ وقاك الله مرجعهُ
هيهات يعشق قلبي يامنا ي سوى هذه العيون التى بالسحر تصرعهُ
لواحظ فوقها بالحسن قد كتبت يد الصبى جاذبٌ لا شيء يدفعهُ
فان اكن عنك اظهرتُ السلوّ فذا تظاهرٌ كان يشقينى توقعهُ
اين السلو وطرفي كان يسرق من مرأك اذ لحت ما في القلب موقعهُ
عودي اليّ فثوب الميل نحوك لا يبلى ولست مدى الايام اخلعهُ
واسترجعي ذلك الانسُ القديم ولا تنسي هوًى في اقاصي القلب مرتعهُ
لا تنكري الحب اوخبي اصفرارك اذ ابدو فوجهُ المعنّى ذاك برقعهُ
لحسن وجهكِ فعلٌ لستُ ادركه على فوادي فكم في السر يصرعهُ
لم ادرِ هل قد اراني البرق ثُغرك اذ بسمت ام ذاك ماء الظرف ينبعهُ
كانما بين عينيك الجمال دعى قلبي الى فتنة فانساب يتبعهُ
صرعت ذا القلب بالالحاظ ظالمة فظلّ يخفقُ حتى ضاع موضعهُ
مدّت له عينك الكحلاء سلسلة خفية نحو اوج العشق ترفعهُ
هناك مراكِ عند القرب يوسعهُ وجدا وذكراك عند البعد تفجعهُ

اليك كلُّ كمالٍ ينتمي ولذا عليك كل جمال قام مهيعهُ
لذاك لا انثنى نحو السوى فانا وافٍ وثوبُ غرامي لستُ انزعهُ
هذه يدي وثاق العهد يربطها وذا فوادي وعضب الشوق يقطعهُ
وذي دموعي وخوف المتك يمسحها وذاك نوحى واذن الليل تسمعهُ
قومى بنا يا ابنة الصبح المنير الى روضٍ به الزهر يحلو لى تنوعهُ
حيث الغدير راى غدر القضا فجرى يانٌ والشط يلويهِ ويدفعهُ
كأنهُ راكضٌ يبغى قتال عدى والريحُ بالزردِ الفضيّ تدرعهُ
وفوقهُ لغصون الحور مشتبكٌ يحكى صراع عفاريتٍ توقعهُ
والبدر من خلل الاوراق يطلبان يلوح والريح تعطيهِ وتمنعهُ
كغادةٍ نظرت معشوقها فغدت تلوي الازار قليلاً ثمَّ ترجعهُ
والشهب تلقي على ظهر الغمام سنىً كانها بحبال النور ترفعهُ
والبرق مثل حراب النار يرشق من قوس السحاب وبطن الجو يبلعهُ
حتي اذا ما الدجي ضمن الوهاد هوت قبابهُ وانزوى في الافق مجمعهُ
والشرق من فمهِ المفترّ رشّ علي وجه السما ماء نور راق منبعهُ
والغرب جمع جيش الليل فيه وقد احاطهُ بذراعيهِ يودعهُ
وقد سرت نسماتٌ خلتها سحرا روح الظلام الذي قد تمَّ مصرعهُ
والصبح ارسل تلك الروح تسرق من زهر الربى ما على الدنيا تضوعهُ
صبت عيوني الى وجه التي سلبت لبي وملت على صبري أشيعهُ
تلك التي كلما لاحت لدى نظري ضجّ الفواد بصدري وهو يفرعهُ
تلك التي ان اكن صارمتها غضباً فكلُّ مرّ عذاب كنت احرعهُ

تالك التي حينا زارت عقيب قلى ترنو الىَّ بطرفٍ سال مدمعهُ
والحسن يطفح من افطار طلعتها والوجدُ يقطرُ في قلبي فيوجعهُ
وضعت في يدها ذات الغرام يدي والعهدُ بينهما يحيي توقعهُ
قالت وقد ذبلت الحاظها خجلاً كنرجس جاء حرّ الشمس يلذعهُ
ايُّ الذنوب جرى مني وهبك انا اذنبت فاذكر جنونا كنت تصنعهُ
انى اشمت سلوى حيث لا سببٌ وكيف قلبك في غيري تضيعهُ
انا التي لك قد خصصت قلبي اذ لبست ثوب غرام رحت تخلعهُ
انا التي في الدجي اصبو لشخصك عن شوق وفي مهجتي الحزاء اطبعهُ
انا التي بك ايدي الشوق قد ربطت طرفي وطرفك عنى السهو يقلعهُ
اجبتها ولهيب الوجد متقدٌ وفي فؤادي اسيافٌ تقطعهُ
الذنب منى فكفى ادمعا حجبت برق الشباب بطرف جلّ مبدعهُ
يامهجتي يامرادي ياحيوة دمي يامن بغيرك طرفي لا امتعهُ
اليك ما زلت مجذوبا بغير يدٍ وفي حشاى الهوى ما زال مربعهُ
وكلما كنت انهى القلب منى عن ذاك الهوى كان يعصانى ويتبعهُ
فايُّ سحرٍ عليه قد رميت وما هذا الذي لك عنفا راح يخضعهُ
ان قلت حسن فكم بين الورى حسن او قلت طبعٌ فانّى لا اطبعهُ
هاقد عرفت عرفت السرّ هو على عينيك يغشيه اجهاشٌ ويطلعهُ
انت التي لك ميلٌ لى اليك دعى ميلى بعنفٍ فجهلاً كنتُ اقمعهُ

ومن ذلك الصدد

ما للمليحة غضبى لا تكلمنى كانها بي لم تسمع ولم ترنى

غضبي وما لي من ذنبٍ كما علمت　　سوى افتتاني بمعنى وجهها الحسن
ما بال اعينها في الارض مطرقة　　وكلما اطرقت عيناي ترمقني
ونحن في مجلسٍ قد قام من نخب　　فمن حسود ومن واشٍ ومن خشن
عسى العيون التي قد اتلفت كبدي　　كلت من الفتك او ملت من الفتن
او انها علمت ما قد جنت فغدت　　من الخجالة ترنو مثل ذي وسن
هذا اذا لم تكن من غيرةٍ غضبت　　وهمًا فما عادت تغازلني
ليت المليحة تدري انني كلفٌ　　بها الى غيرها ما ملت في زمني
ولي ثباتٌ عجيبٌ في الهوى عجبت　　منهُ الجبالُ وحار الدهر ذو المحن
على عهودي وودي قد ثبتُّ لدى　　صدم الزمان ولم انقض ولم اخنِ
رويد جورك يا غضبي بلا سببٍ　　مني الرضاء وهل للآن لم يحن
اطلت اعراضك الريىّ فالتفتي　　كالريم نحو فتى احيي الهوى وفني
حتى يراكِ فيغدو والحشى قطعٌ　　والعقل في ذهلٍ والقلب في حزن
مازال يهواك حتى صار يحسب ما　　بين الملا من عباد الشمس والوثن
مهلا ايا صنم الحسن الذي سجدت　　له قلوب الورى من سالف الزمن
شمشومُ داودُ حمنونُ ابنهُ تبعًا　　كذا سليمن ربُّ العقل والفطن
لله درّهمُ كلٌّ غدا لبنى　　حواء قدوة طهر الروح والبدن

وقال ايضًا

اسبلت فوق صحاحٍ مراض　　وجلت في سوادٍ بياض
غادةٌ في ليلٍ طرتها　　مدمعي والنومُ فاضَ وغاض
وجهها الراضي رياض البها　　آهِ واشوقي لتلك الرياض

وخدودٌ جعلت قلبها قاسيًا فظًّا وهنّ بضاض
ما رنت كالظبي الأ وقد خلت حال الامرِ في القلب ماض
واذا قامت باردافها ضاقَ صبري بين تلك العراض
عَبلٌ لولا نهوض الصبي كان لم يسمح لها بانتهاض
ايها الحسن العجيب انا لك عبدٌ فاقضِ ما كنت قاض
صلْ وطلْ واحكم وتِهِ وأْتمِرْ فانا راض بما انت راض
انت لي كل الرغاب وما انت في الدنيا بشيء تعاض
كل اهوائي انقرضن وما لاهتمامي في هواك انقراض
خضتُ منذ الحمل بحر الهوى والى الان اقاسي المخاض
ها انا فيه على سفر بادي الانفاض خالي الوفاض
فمن الاشجان زادي ومن مدمعي ماءٌ متى شيت فاض
يا احباي افاعي النوى في فوادي لا تكفّ العضاض
حكم الدهرُ لفرقتنا ما على حكم القضاء اعتراض
ذكركم زلزلةٌ في الحشى ولها في كل جسمي انتفاض
وهواكم بي صحيحٌ ولو عندكم علٌّ ودادي وهاض
لا تظنوا انني مثلكم اذكر العهد متى الديك باض
ذلك البين ليال على عاشق شقّ الليالى وخاض
ياسراة السفح لازلتم فى انبساط والعدى في انقباض
ما رعى المفافُ غيطانكم وسقى الرجاف تلك الغياض

وقال

ته بما شئت بالهوى وتحكم　واظلم الصبّ ما شكى وتظلم
ان تكن ظالمًا فظلمك عدلٌ　لمحبٍ عني اليك وسلم
لك سلمت ياحبيبي امرى　فلك اليوم ان تجور وترحم
ياهلالا سبى العيون ببدر　لاح من هالة الجمال المعظم
سد بطرف لهُ لسانٌ وسيفٌ　بهما كلم الفواد وكلم
وكذا جر عليَّ اذْ ليس لى من　ذاك واق ولا الزمان اذاهم
ما استجار المحبُّ بالدهر من جو　رك الاَّ كالمستجير من الرّم
سفكت بالفتور اعينك الس　ود دمى فالامان ياسافك الدم
قد قضى الله ان اكون عميدا　بك فارفق انَّ القضاء لمبرم
كم وكم عن هواك حاولت سلوا　نًا لاقضى ملك انتقامًا وكم لم
فصوابي ذو العدل يدعو الى الثا　رِ وقلبي ذو الحلم يعفو ويرحم
ذاك ثارٌ ان يحلو فالعفو احلى　وكلا الخلتين في الحب علقم
ليس لى حيلةٌ بها العدل يرضى　غير اخذمي عليَّ ذنبك فاسلم
أن ذنبي ذنبٌ عظيمٌ ولكن　لك عفوٌ عن ذلك الذنب اعظم
ان اكن قد سلوتُ عنك فما كا　نَ سلوي الا سحابًا تجهَّم
كيف اسلوك يامعذّب قلبي　لا ومن يدرى ما بقلبي ويعلم
فانا ما بدلت تبرا بترْبٍ　مذ بدلت الدينار انت بدرهم
وعلى كل حالة ان احل يو　مًا فاني اتوب حولا واندم
انت غصن الهناء في العين اكن　انت والله في الحشا شجر الهم
فجفاك العريض اقتل من سمٍ　وصبرى المريض اضيق من سم

وانا في الحالين ميتٌ وحيٌ بالجفا والرجاء والله اعلم

ومن ذلك المنوال

ياسعاد لا تسلي عن بكاى ذا شغلي
لو علمت سفلك دمي ما بعدتِ عن مقلى
كيف حلتِ عن كلف عنك قطُّ لم يحلِ
وابتعدتِ عن مقل عدن يعد في عللِ
في نواك ياطلبي قد بليت كالطللِ
صرت فاقدا رشدى مثل شارب ثملِ
والهوى على مهل والصبى على عجل
فالشباب زال وما للشباب لم يزلِ
والجمال ملكٍ اذا لاح فاز بالمقلِ
فاغنميه قبل فنا فالجمال كالدول
وابتلى الفؤاد ولو لا الرجا لكان بلي
انني على امل باللقاء والقبل
والممات احسن من عيشة بلا املِ
يابكا مودّعتي نحو اعينى انتقلى
اعينى معوّدةٌ في الهوى على الهطل
ذا الوداع اودعنى حرقة الى الازلِ
قد اضعتِ عهد يدي اذ قطعتِ متصلى
ياسعاد اَن تصلى للعهود ان تصلى

ما انا سوى رجل يستسير كالرجل
رغم ذا الزمان وما في خطاه من حطلِ

وقد يخامر الحب الكدر . ويداهمه الحسد . وتسعى فيه الوشاة . وتحدق به اللحاة . فينقلب الحب الى سلوان . والودّ الى عدوان . ويبدل الوصال بالصدود . والارق بالهجود . ولا يعود للعذل مقال ولا للنسيب مجال . وحينئذٍ يهتف المجد بصوت السلوّ . ويتكلم بلغة الخلو . شارحاً اسباب سلوانهِ . وبواعث عدوانه . ويحدث عن الانقلاب . كما قلت في هذا الباب

أأذوبُ لا والله لست اذوبُ ان قال تركٌ قلت ذا المطلوبُ
انى امرؤٌ عف الطباع وليس لى بهوى الذي لم يهونى تشبيبُ
لا انكرنّ عليهِ حق دلاله فجماله للناظرين عجيبُ
ولكل عين اعينٌ ترنو له ولكل قلب في هواه قلوبُ
لكنّ قلبى لا يرى يحب ذي قلبٍ اصمّ الطبع ليس يجيبُ
وكذاك لم انكر اناسة وجههِ لكنه شرس الفواد غضوبُ
ما لم يكن بين القلوب تبادلٌ في الحب لا حبٌ ولا محبوبُ
رُح يارسول الى الحبيب وقل له مات الغرام لك البقا فتطيبُ
ان المحب سلاك فابشر بالمنا واذهب فانت لمن تشاء حبيبُ
وليهن واش ولتسر حواسدٌ وليرض لاح وليقر رقيبُ
والله لو لم يدعنى هو اولا بوداده لوداده فاجيبُ
ما كنت لا والله همتُ بمثلهِ حبًا ولم يكُ مضنى التخييبُ

لكنا لا يعرف الدنيا سوى   من راح يكشفها له التجريبُ
ياظبيُ بل يانافرًا عن ود من   قد كان منك لوده التسبيبُ
والله لم يضرب فوادي بالهوى   لو لم يأنّ فوادك المضروبُ
وكذاك لم يسكب بحبك مدمعي   لو لم يبن لى دمعك المسكوبُ
والان انت رميت بي سهم الجفا   فرددته لك والمصيب يصيبُ
ابت المروءة ان يقيم علي الهوى   قلبي وقلبك للسوي مقلوبُ
اما فلا عاد الجمال يصيدني   حتى يصيد ابا العرين ربيبُ
مذ شبتُ عشقًا عفتني فاغظتني   فلسوف من غيظى عليك تشيبُ
ولكم شجبتُ بنا الى سهر الدجى   ها نمت فاسهر ايها المشجوبُ
قدتبت عنك فلست ارجع لاومن   يهب الندامة ذا الخطا فيتوبُ

ومن ذلك

دع ذكر حادى السرى والوخد والابل   وخلي عنك حديث الطل والطالل
وزر مواقع هوج اليعملات على   عوج الاباطح بين السهل والجبلِ
ولا تعج على سجفٍ ولا حدج   ولا تعج على ظعنٍ ولا جملِ
واهجر ربوع خيامٍ لا يجاورها   غير الرعام ولا تحوى سوى الهمل
مالى وللطنب الممدود في وتدٍ   يقوم بالسبب الزحاف ذى العلل
لا عاد يحسن لى ذوق التغزل في   منازلٍ غرقت في ابحر الغزل
قد انحنى المنحنى من ثقل ما وضعوا   عليهِ من عجلاتٍ فمن كالقالِ
كذا اللوى قد لوى من وجدهم سأما   وقد ذوى البان من اشواقهم وبلي
كذا الغضا من زفير الهامين به   ناداهمُ بلسان الحال واشعلى

وقد غدا بالدما وادى العقيق على طفح فكم فدا ذابوا فيه من مقلِ
دعني فلست انا ان كنت ذا كلف ممن يشوب صحيح القول بالزغلِ
ولست ممن اذا جد الغرام بـه اضحى يكابده بالرمز والحيلِ
فهل اذا طعنت قلبي قدود بنى حسنٍ اطيب بذكر البان والاسلِ
وهل اذا ما رمت الحاظهم كبدى اقول هذه رماة النبل من ثعلِ
وهل اذا ثغر من اهوى تبسم لى اطارح الابرق البراق بالقبلِ
لا والذي خلق الانسان مكتسبا بالذوق غير عقيم العقل والعملِ
لكل عصرٍ رجالٌ حسب دولته فالان ما الرجل العبسيُّ بالرجلِ
كنا لكل زمانٍ السنٌ نطقت بكل معني جديدٍ غير مبتذلِ
قد كان بالنازحين العيس تعسف في قفر الفلا ظالعات الخبّ والرمل
واليوم لم يبقَ للاقفار من رهط ولم يعد لظهور النجب من دُخلِ
ولم يعد في خيام العرب من سكن غير اللصوص وسقط الناس والسفل
فهل اذا ما جرت بالصحب باخرةٌ في البحر او في الثري اشكو الى الابل
ومن اذا الشمس في لوح الضحى رقمت بياضها قال هذه صفرةُ الطفل
هذه عصورٌ علينا في الحجى جددٌ فلا نبلبلها بالأعصر الأُولِ
وقد اصاب بهذا الدهر كلُّ فتى بحر الكمال فلا يهفو الى الوشلِ
وربَّ طالب شيءٍ ليس يدركهُ امسى وفي قلبه لذغٌ من الاملِ
اذا بدا ليَ شأوٌ لا وصول له فلا اقولنَّ عمري ليت ذلك لي
وان ارم ودَّ قلب غير منقلبٍ فانني رمتُ ظلا غير منتقلِ
تأبى النفوس العوالى ان يخامرها حبُّ الاسافل كرهَ الاعين النجلِ

وكيف يرعى كرامُ الطبع دون اذى عهد اللئام رعاة الخون والخطلِ
والله ان خان ميثاقي الحبيبُ سلا قلبي وحليت جيد الحب بالعطلِ
قولوا لمبلعةٍ والوردُ يطبع في احداقها شيم الجيران والشملِ
ضربت بالغدر قلبا الصب فاندملت جراحهُ من ضراب الغنج والكحلِ
وقد اخذت باركان الهوى فهوت وقعاً كما اخذ الغدارُ بالبطلِ
قومي ارثي ايا من بالهوى عبثت وجهاً كستهُ يدُ الابرام بالمللِ
مالي اراك بلا لطفٍ ولا خجلٍ من بعدما كنت ملء اللطف والخجلِ
مالي اراك الى كلٍّ على طمعٍ وكنت لي بالحيا مكحولة المقلِ
مالي ارى النفس منك الآن قد سقطت على الحضيض وكانت في ذرى الكللِ
ما بال وجهك هذا اليوم ملتفتٌ لكل داعٍ وداعٍ كل ذي شغلِ
مهلا فلم تدعى نفساً على طمعٍ بالوصل منك ولا قلباً على غللِ
فملٌّ هذا وذا اقوى وذاك سلا وانت انت بلا سلوى ولا مللِ
وعنك كلٌّ فتى قد عاد مجتنباً سوى فتى من بني الاوباش والهملِ
كانمت ذا الكاشح النذل الهوى ففشى وراح عن دُبر يروي وعن قُبلِ
من الاعاجم لا اصلٌ ولا حسبٌ ولا صفاتٌ سوى الفحشاء والزللِ
وحش من الحيوان السقط مفترس وان بدا بشراً فالمسخُ ذو خللِ
ما كان قط ليرضي ان يرى شرفاً فطبعهُ من طباع البغل والوعلِ
يريش نبل المساوي والفساد لكي يرمي الصلاح ولكن قط لم ينلِ
وان يكن بك قد تمت رمايتهُ فانت ممن اصابتهم يدُ الفشلِ
اغنيته عن جميع الناس فافتخري بذاك يا فخر فرد قام عن جملِ

حسبُ الذباب افتخارا انها شبعت	من القفاع وجاع النحل في العسل
قد كنت لى في مراح العز سارحة	تمشين كالليث اعجابا على مهل
والان صرت تجاه الذل مجفلة	تسرين كالضب حيري في يد الوجل
فسوف تلقين اهوال الاسى ندمًا	من حيث القي الاسى عن ناظري جلى
قد كنت اندب حظي منك نضو جوى	وها انا الان في ضحك وفي جذل
قد كان يلقاك طرفي مطرقا خشعًا	والان تلقين طرفي غير محتفل
واليوم تبكى عليك العاذلات كما	قد كنت ابكيك بين العذر والعذل
فلا برحت بافواه الملا مثلا	ومنك لا برحت نفسي على جفل
بشراك بشراك بالصيت الذي لك قد	بدا فقد سرتِ بين الناس كالمثل
واستبشري بوقوع الود عنك فذا	حملٌ عليك ثقيلٌ غير محتمل
لا تاسفي ان يكن منك الجمال مضى	فانَّ دولته من اقصر الدول
وهل مرادك الاَّ خدع ذي بله	فاستبضعى رقع التمويه واشتغلي
ياللزوال خدود الورد قد ذبلت	كذاك غارت عيون النرجس الخضل
وقد هوت كل اركان الشباب سوى	قلب توطد بالوسواس والخبل
تبادل الصبح والديجور لونهما	فابيضٌ هذا وذاك اسودٌ بالعجل
ولم يَعد من ملىّ الجسم منك لنا	سوى جلود على عظم بلا عضل
فلا يغرنَّ قومي البارزات فما	هذه سوى خرق شدَّت على فصل
ولا يغش فتى هذا الجمال على	ذاك الخنا فهو يحكى السن الشعل
وهكذا كل نبراس يضيء له	جوفٌ يضمّ ظلامًا بالدخان ملى
تلك الخصال التى رنت قباحتها	والحسن قبحٌ على مستقبح الخصل

وجود مثلك في الانثى اتاح لها مقتاً وقد يوخذ المنقود بالذغل
اني وما ضمّ قلبي من سلوّك لم اعتب عليك فكم لى عنك من بدل
لكنّ عتبي على قلبي فعادتهُ ان يصحب الناس والدنيا بلا دخل
خذوا من الناس ياذا الناس حذركم فكم من الناس ذيبٌ في كسا حمل
ما عدت اخشى الضواري بعد غدركم انا الغريق فما خوفي من البلل
جيت ذنباً ارى فيه معاقبتي من لى بتمصيح ذنبٍ باهظ الثقل
بنات حواء ما انتنّ غير بلي على بنى ادمٍ كلٌّ بكنّ بلى
لكنّ فضلٌ فكم منكنّ لى ادبٌ وربما صحت الاجسام بالعلل

ومن ذلك ايضاً

لا تدّعى ببقاء العشق والتمسى غيرى فاين مزاج الكفّ والنفسِ
العشق لا يدع الانفاس فاترة ولا يغادر لمس الكف كالقبسِ
علمت انك قد خنت الغرام فلا تخادعينى بلين القد والميسِ
ولا تظنى ابتسام الثغر يخدعني فليس لي خاطرٌ فى ذلك اللعسِ
سلكت طرق الهوى عسفاً كذي ذنب من السما او من الشطرنج كالفرسِ
لذا خلعتُ ثياب الحبّ مكتسياً ثوب السلوّ ولم البث علي هوسي
وقد حملت سلاح الصد عنك لكي اردّ شوقي فانجو من يد الرجسِ
كونى بغيري في حظ كذا ليكن ذا الغير مستهديا فالتيه في الغلسِ
فسوف يرجع مغدورا على ندم يبكى الدجى وينادى اه واتعسى
ما انتِ الا كريش طاردتهُ بلا رفق يد الريح بين الاربع الدرس
تذكرى حينما اقسمت لى شرفاً بان قلبك عنى غير منعكسِ

يوما وضعنا بلا فحص يدًا بيدٍ وقد عقدنا عهودا عدنا في خرسِ
اذ لم اكن عالمًا ان العهود جرت من كف مستانس في كف مفترسِ
فلم يكن منك قبض الكف لى علمًا للعهد لكن لخنق الحبّ بالخلس
نعم لخنق الهوى واحسرتاه نعم لقتل ودى نعم للنكث والبحس
مالى اراك تريقين الدموع بلى ذيلي وتبغين منى مرجع الانس
هلا علمت بان الراس منى لم يخضع ولى قدمٌ في الذل لم يدسِ
لا عاد يخطر فى بالى الهوى فدعى هذا الفتى امنًا من خلتك الشكس
انذرت قلبي بما اوحى السلوُّ لذا سقطت منهُ كارطاميس من زفس
يكفى فوادى ما قاسى وما احتملت جوارحى من وقود الشوق والهجس
اهًا وواسفى كم قد نثرتُ على هواك لوءلوء دمعٍ راح فى النجس
وكم سهرتُ الدجى شوقًا وعينك في نوم فها الان طرفي عنك في نعس
وها عيونكِ قد امست مسهدة ترجو اليَّ وصولا وهي في الدلس
وها غدا اليوم منك القلب ملتمسًا ترجيعَ عشقى وقلبي غير ملتمس
لا تفرحى ان نظرت الوجه منى ذا بشاشة فالهوى تحت البشوش نسى
ولا تظنى اصفراري في قدومك عن خطور حب ولكن عن ظهور مسى
فلا يغرنكِ لينُ الطبعِ منىَ او بشاشتى فانا قاسٍ كنبل قسى
كذاك للنظر المراة تظهر من ماء ولكنها للمس من يبس
دعى دعى ذلك الصبَّ الذي فعلت به طباعكِ فعل الظالم الشرسِ
فلست القى على باغى الاسى نظري ولو يكون بانوار البدور كسى
قد كان يدوى بصوت الوجد قلبي اذ اراكِ والان اضحى جامد النفسِ

وكان ينطق فكري بالغرام بلا صمت فبدّل ذاك النطق بالخرس
وكم سفكتُ دموعي او دماى على رجليك ارجو الرضا من وجهك العبس
قد كنت حزنًا لقلبي والهوى نكدٌ والان صار له السلوان كالعرس
بغضتُ عشقك حتى لو تجسم لى شخصًا لكنت اريه الشنق بالمرس

ومن ذلك ايضًا

سُلوًّا فذا كبر عهدتك ياقلبي الم تر ان الحبّ اشرك في الحب
الم تر من تهواه مال الى السوى وعنك تخلى ريثما صرت في الركب
لحى الله حبًا روحه في يد النوى فما هو الا رمةٌ في يد القرب
وما هو الا خدعةٌ لا محبةٌ وما اصلهُ ياصاح الا على الكذب
فلا عدت امشي في طريق الهوى فذا طريقٌ به من يمشى اصبح كالضب
طريق العما والبرص والضيم والضنا وسهد الدجى والسقم والنوح والندب
رايت الهوى مغرى بضربي على المدى فاضربت عنه الصفح والضرب بالضرب
سعادُ اما والله انتِ وطيدةٌ على الحب لكن طالما الشمل في الصحب
وانتِ على الميثاق ساهرةٌ بلا رقاد ولكن طالما الشمس في القطب
اذا كنتِ يا سعدى كبرت فانت هل صغرت ولم يبرح صباك هوى الصب
وان بصدغيك الغصون لذا الصبى مجارٍ وفي صدغيّ للكبر والكرب
كانك بالمرآة همت صبابة فلم تنظري فيها سوى الحسن والعجب
لعل ذبول الورد عن وجه الصبى نشا فبماه الورد جاءت عن النضب
تعلّة من ظنّ الشباب كنجمة على القطب ما زالت تضيء بلا غرب
وهبك شباب الدهر دام فهل فتى يدوم على عهد الشباب بلا قلب

وهيهات فالاكوان سوف تحل في قبور الفنا والارض تحرق كالعشب
فذا مشهدٌ لا بدّ من سدل حجبه زوالا ليبدو غيره من ورا الحجب
اذا كان في باريس كل العلا يرى ففيه لقنسرين كل العلا مخبى
فكلّ عمار فيه رمز خرابه وكل خراب عن عمار له ينبى
وفي حزن بعض الناس للناس فرحة وفي قومة المربوب منقلب الرب
وان دخول النفس في الخطب مخرجٌ لحزم النهى فالحزم يحصل في الخطب
وللناس اخلاقٌ وعادٌ وانفسٌ بطاوعن حكم الأين والحين والحقب

ومن ذلك ايضًا

اياكِ اياكِ تأويبي وتقريبي ولازمي لازمي بعدي وتغريبي
وحاولي كل صد عن محادثتي واستقبليني بتزوير الاحاجيب
وان حضرتُ فخطّي في الثرى عوضًا عن القيام بتسليم وترحيب
وان نطقتُ فقولي فاه ذو حصر وان روت فقولي ذو اكاذيب
وفضّلي كل ذي نفس عليّ فلا ازل مُنيَ بين المرد والشيب
والله لو لم اكن شر الانام لما احببتُ مثلك يا ادنى المحابيب
قابلتِ خيري بشري والوفا بجفا كذاك طابقت تعميري بتخريبي
هيهاتَ يحسب انسانًا لديك فتى يرعى الزمام بقلب غير مقلوب
قد كنت اهواك صافي القلب طيبهُ فلم يرقكِ صفائي لا ولا طيبي
ورحت تهوين نكس القوم باذخة به وبدلت مقبولاً بمحجوب
فخان عهدك مقلوبًا عليك ومذ سمعت ذا قلت راح الذيب بالذيب
فسوف تبكي عليك الشامتات كما عليّ ابكيت عذالي بتعذيبي

وما فترت بسوق الشوق مرخصة ما كان يغليه انشادى وتشبيبى
حتي جعلت عرين الاسد مكلبة ومنزل العهر اخدار الرعابيب
لذا غدوت اروم البعد عنك بلا صبر وقد كنت ارجو كل تقريب
وللفتى طلبات يختلفن على قدر اختلاف الدواعي والمطاليب
ها تبت عنك وعن كل الهوى ابدا وانت عنى وعن كل الهوى توبى

غيره

ياعاذلون استريحوا فالشجي خلا وياوشاة تهنوا فالمحب سلا
سلا وبالغ بالسلوان خاطره حتي جرى في الملا سلوانه مثلا
سلا واصبح لا يشكو صروف جوى ولا سهاد دجى ولا عذاب قلى
نعم سلوت نعم عفت الغرام نعم فر الولوع نعم كل العنا بطلا
وارتحت من كل مهذار بلج فقد زال الهوى فزال العذر والعزلا
تلك التى خلبت عهدي وقد جلبت علي ودادي لها ما يصدع الجبلا
حسبت ان ودادا عندها ووفا حتي اختبرت فلا ود هناك ولا
خيانة مزقت صبرى مرارتها كل الخيانات اضحت بعدها عسلا
بالامس كنت على قومى اتيه بها واليوم قد اصبحت عارا علي علا
وكنت اهتز فخرا كلما ذكرت فصرت ان ذكرت لى انحنى خجلا
لا بدع ان استحي من ذكر من ولعت بالقدح بي بعدما اوسعتها غزلا
فلا رعى الله يوما عهد خاينة قد اشمتت من درى امرى ومن جهلا
انا الذي بيدي ارقعت نفسى في تلك الفخاخ فان اعتب فذاك على
تعلموا ايها العشاق واتخذوا امثولة لم تروا يوما لها مثلا

قضيت كل شبابي في محبة من مذشاب فودي راحت تطلب البدلا
وما درت ان عصر الياس داهمها وانها قد غدت بين الملا هملا
قدعوضتني بدوني لذاك غدت دوناً فياويح من ينحط بعد علا
وانكرت قدر معروفي ومعرفتي فصار انكارها في قلبها وجلا
كانما الذوق يأبى ان يقوم على انثى فليت الاناثي لا ترى رجلا
لاصبرنّ علي تجديد دولتها فالدهر من شانهِ ان يقلب الدولا
فسوف يضحكني صرف الزمان على احوالها وسيبكيها اسىً وبلا
كم اضحك الدهر من باكٍ ينوح وكم ابكي ضحوكاً وكم رقى وكم خذلا

غيره

يليق لذي العجباء ان تدللا وفرضٌ عليها ان تتيه على الملا
وحقٌ لها ان لا تكلمنى ولا ترانى ولا تلقي سلاما ولا ولا
وحلمٌ لنا منها اذا عفّ حكمها ولم نجعل الاعلى على الارض اسفلا
فمن قدرها ان تكسف الشمس في الضحى وتخسف وجه البدر في كبد العلا
وتهبط بالسبع الشداد على الثرى وتفصم شمل الكاينات وتفصلا
وتستوقف الافلاك عن دورانها وتقلب ابراج السما وتزلزلا
وتهدم اركان الطبيعة كلها وتجعل تنظيم الوجود مبلبلا
وتقلع اطناب السحاب وتنسف الـ جبال وتبقي واسع البحر جدولا
وتبطش بالاقدار والخطب والقضا وتضرب شرع الكون فرداً ومجملا
وتخدع بالازلال انف الفتى ولو اناف على الجوزاء شأواً ومنزلا
وتسحق احكام الزمان برجاها وتكسر راس الدهران صال واعتلا

فياليت قومي يعلمون الذي جرى مِنَ الغدر والابرام منك لاحسانى
وفيتكِ حتى خنتنى بخيانة تحير من فحشائها كل خوانِ
فها وجهك المنكود يشهد بالذي فعلت وها ما بين عينيك عدوانى
على انِ ذياك الجمال قد انمحي ولم يبق من ملح سِوى لح اسانِ
الى م الى م العجب اذ لم يعد سوى شنار وفي المراة عندك برهانى
قضى حسنك الباغي وجنزه القضا وادرجهُ من ذا المشيب باكفانِ
نظيرك دهرٌ ساحرٌ بلك غشنى وحير اصحابي بامري واقرانى
لحى الله اياماً بوجدك جزتها فياليتنى ما كنت فيها بوجدانِ

وقال ايضاً

ما غريبى فى الحبِّ غيرُ ثباتي وثباتُ المحب عين الشتاتِ
ليتنى كنت كالحبيب بلا قلـ ـب فلا كان منبت الحسراتِ
لحفاظ الحوة قد خلق القلـ ـبُ ولكن قلبى لسلب حياتي
ايها القلب قد قضيت مراماً فالى مَ الولوع بالشهواتِ
تب عن الحب والعنا وعلى السلوان ثِب وانجُ ياخا الوثباتِ
كيف يا غالباً اسودَ الردى صر ت اسير الهوى بعين مهاةَ
عجزت اسيف المصايب عن كسرك حتى انكسرت باللحظاتِ
انت ابكيت أعين الدهر ذي الغد ر فأنّى يبكيك غدرُ فتاةَ
ذلك الحسن يصرع الاسد السا طى ويغزو الكمىّ ذا الغزواتِ
انما الحرُّ لم يغر حسن ذاتٍ قطُّ ما لم يزن بحسن صفاتِ
فسلواً ياقلب ان كنت حرا عن قبيح الصفات باهي الذاتِ

ذا حبيبٌ عناه لم تحلفـــا الا لرشق الجميع بالنظراتِ
كلما شاب لمَّةً شبَّ لومـــًا فشبابٌ ساءٍ وشيبٌ اتِ
ما عليـهِ فقد هصرت صباهُ دانيَ القطف طيب الثمراتِ
ثم غادرته فضالـة لون سرسمًا في صحايف الطيبات
باخليلي في حبه فاتك العهـدُ فوات الحبيب عند الفوات
كن امينًا عليه من رجعتى حر مة أمنٍ من احسن الحرمات
فالى الثبات في كل شوط ولنيرى الترداد في الرجعات
طايرٌ كان في يد الشهم نسرًا وبغاثـًا غدا بايدى البغـاةِ
هكذا الشاة في حمى الليث ليثٌ وبوكر الذباب جيفـة شاة
ربَّ ميتٍ كانه في حيوة عند حيٍّ كانـهُ في مماتِ

وربما كان السلو هجعة رقاد . وهدئة جلاد . حتى اذا عرض حادث . اوزال باعث . تيقظ المحب للحال ورجع الى جهات الجمال مستعطفًا برجعته . ومستعذرا عن غفلتهِ . ويستسمح عما مضى . ويستبيح عوض الرضى . وهكذا يرجع بعد نفاره . ويقع بعد فراره . وعلى هذا الحال . قلت هذا المقال

رجع المحب اليك بعد سلوهِ ودنا يروم رضـاك بعد شنوهِ
صبٌّ راى برجوعهِ كل المنا وكذا رقى كل العلا بدنوهِ
وغدا وضيع النفس بعد علوها وهوى على تدميك رغم سموهِ
والله ما بالغت بالاعراض لو لم يدعُ ذلك منكِ فرط غلوهِ
واذا غضبت فلم يكن غضبي سوى ثورات هذا الحب حال نموهِ

لم يخلُ مسك وعنك لم يكُ معرضًا ... قلبي فان اليك كل حنوه
شعر الحبوة وفيه حبك قد جرى ... مجرى الحيوة فلم اعش بثناره
لا يالف السلوان صب دابه ... يلفيك في اصاله وغدوه
دونت خاطره الصحيح على المدى ... بهواك حتى زال كل هدوه
فاذا دنته علك فترة صدفة ... وارتد بعد علمت بعد سلوه
فاليك يدنيني الهوى بدنوه ... مني ويقصيني الرجا بدلوه
عادي الرجا قلبي وصادفه الهوى ... فاحتار بين صديقه وعدوه

حال البغض

البغض خصم الصلاح وعدو الاصطلاح . وحليف الفساد واليف الاضطهاد . ومحل الخير . ومحرك الضير . فهو الداهية الدهما والبلية العظمى . حيثما وجد وجد الشر . واينما تحرك تحرك الضر . وهو اما خفيًا واما ظاهرًا فان كان خافيًا دعي البغض الغريزي ويكون صاحبه بائس البأس في كل الباس . فيبغض عموم البشر . ويشتهي لهم كل ضرر . فلا يصادق صديقًا ولا يرافق رفيقًا . ولا يواخي ولا يخاوي . ولا يداني ولا يداوي . واذا استعطف نفر . واذا استلطف نهر . وغمزم وزجر . واذا حولف مان . واذا عوهد خان . واذا وعد اخلف . واذا قال اجحف . وهكذا فذو البغض يكون من الكل مبغوضا ومن نفسه مرفوضا . فيستنزل عليه لعنة الجميع . ويستجلب اليه مقت الرفيع والوضيع . اذ يصبح مهملاً مملولا . وسقطًا

مرذولا . ريغدر ذكره عار اسهمه شارا يفر منه الجبان . وتقشعر الابدان

واذا كان البغض تخلقًا انما يدعى البغض الاكتسابي وهو يكون نتيجة غيره من الصفات . كالكبرياء والحسد . والغضب والحقد . فالمكبر يبغض الذوات . والحسود يمقت الخيرات . والغضوب يبغض الرضوان . والحقود يمقت الغفران . وقد يكون هذا البغض اثر خاف في دين النفس . وافتراق في النوع والجنس . او اثر وفاق الاعمال واتفاق الاشغال . فيستهض امةً على امة . ومملكة على مملكةٍ . ربه يردي الزارع بالزارع . ويؤدي الصانع بالصانع ويفتك التاجر بالتاجر ويضرُّ الاجر بالاجر . وتثور العلماء على العلماء وتهبُّ الشعراء على الشعراء . وهكذا تنهش هناك انياب المثالب . وتنشب مخالب المسالب . وتسعى افاعي الضغن . وتزأر وحوش الفتن فيثلُّ عرش الانتظام . وتتقوَّض ركن الانضمام . حتى يهبط كل عمار ويتشيد كل دمار . فلا ريب ان البغض اوه الكل والبعض

حال الجمال

الجمال هبةٌ الهية . ومنحةٌ طبيعية . فهو مشهدٌ يلذهُ الناظر . ويروق الخاطر . ويستميل الحنان . ويشغل الاذهان . ويستفزُّ التحبب . ويستثير التشبيب . فحيثما لاح علقت الخواطر . وعشقت النواظر . واجلّه ما سلم من الصناعة كليًا . وكان جمالا طبيعيًا . ولا

ينزل التبليج منزلة البلج . ولا يقوم الترجيج مقام الزجج . ولا يحل التكحيل والتدعيج محل الكحل والدعج . ولا يظهر التوريد مظهر الورد . ولا يبرز التنهيد بروز النهد . وهذه الصفات الباهيه . تغلب في الباديه البدويّه

سقى الجانب الشرقيّ من حاجب الشبها ... غمام حمى من شهب ذاك الحمي الشهبا

وحيا الحيا تلك الربوع وجادها ... فلا وجدت جدبًا ولا عدمت خصبا

ولا برحت تلك المروج زبرجدا ... ولا زال ذياك الندى اوءلوءا رطبا

هناك من الاعراب لى بدويةٌ ... غزت بالعيون الترك والعجم والعربا

مهاةٌ ابت الا السراح مع المهى ... فتوحش من حاب وتونس من حبا

لها في فواد الصب مرعىً ومرتعٌ ... ولو رتعت في البيد او رعت العشبا

غناها بياض الجيد عن بهجة الحلى ... وعن حسن ماء ماء حسن ابى المضبا

فما وردّت خدًا ولا بيضت طلى ... ولا حمرّت ثغرا ولا سوّدت هدبا

ولا جعدّت شعرا ولا صقلت يدا ... ولا عرّضت ردفًا ولا ضيقت جنبا

فقد دبجّ الرحمن الوان حسنها ... وقد نحتت ايديه قامتها العجبا

ترائب ساج تحمل الصبح لا الحلى ... وارساغ عاج تلبس القلب لا القلبا

ونسرين وجه لا يحول بياضهُ ... وان يستحل وردا فذا ان رات صبا

اضاربة في مهجتي مضرب الهوى ... عليك به لا بالقلا فهو لا يسبى

وضاحكة والرفق انت بمدمعى ... فديتك من ضحك ولو زدتنى كربا

وباديةٌ في طلعة بدويــة ... يروح لها دمع الحضـارة منصبًا

فما خضبت منك الخدود وسادة ... ولا نظرت مراتك الصبغ والخضبا

ولا شربت عيناك ادمعها ولا ابت شفتاك الخمر في مخضر الربا
وما انتفضت عن ردف بقوس وعن ثدي بحشو ولا ارقعت في رجهك الكذبا
جمالٌ طبيعيٌ حوى كل بهجةٍ ولطف بديهيّ سبى العقل والقلبا

وللجمال سطوة كاسر. وهيبة اكاسر. وحكمٌ صائل. وسودد طائل. يذلّ الكرام. ويعزّ اللئام. ويخفض الكبير. ويرفع الصغير. اينما لاح خطف الابصار. واخذ بالافكار. فترتعد لديه الجوارح. وتهتز منه الجوانح. وتكثر الدموع. ويقل الهجوع. وإبّان تملك كانت فرايضه الالام. وجزيته الاسقام. وارضاعه الوساوس. وشرايعه الهواجس. فهو ملكٌ ظلوم. وبطلٌ هجوم. يطلب على الكل السياده. ومن الكل العباده. ولذلك لا يفتر ثوران القلب عليه. ولا ينكف عجيج الخواطر لديه. مع ان دولته اقصر من يوم الفرح. وزواله اسرع من مرور الشبح. فما هو الا عرض مفارق. وطيف طارق

سطوة الجمال

للحسن حكمٌ لايردّ وسوددٌ يغزو القلوب وما على يده يدُ
فاذا بدا برقُ الجمال لذي الهوى لم يبق فيه سوى فواد يرعدُ
سبحان من خلق الجمال فانهُ ملكٌ لديه كل قلبٍ يسجدُ
كن يافواد على الصبابة ثابتًا فلكم بها من لذةٍ تتجددُ
واخضع لاحكام الغرام ولا تطع حكم العذول فانهُ لا يحمدُ
واذا الفتى ما ذاق الام الهوى لم يدرِ لذات الهوى اذ توجدُ

ذو العقل لا يكُ مسرعًا بمسيرهِ في كل شوط ياأخا القدم السريع
والشمس في راد الضحى تمشى على مهل وتسرع في المنيب وفي الطلوع
فاجبتها والله انى صادقٌ بالحب مالى عن ودادك من رجوع
ان الهوى مثل الهواء زحامهُ من كل ناحية بقلبى والضلوع

ولا يحسن جمال الذات . على قبح الصفات . على ان جمال المخبر قبل جمال المنظر . وحسن الطباع . قبل حسن الرقاع . فلا يروق الناظر بياض المحيا اذا ساءهُ سواد العمل . ويضحك بياض السجايا على سواد الكحل . وهل يطيب ورد الوجنات . على شوك الحركات وجودة الاسنان . على خبث اللسان . وفصاحة الالحاظ . على ركاكة الالفاظ . وحسن المباني . على سوء المعاني . فلا جمالٌ قبل الكمال ولا اقوالٌ قبل الاعمال

دع رونق الخلق وانظر رونق الخُلقِ حسنٌ بلا أدبٍ زهرٌ بلا عبقِ
واعشق بياض المزايا والصفات ولا تحفل بعشق سواد الشعر والحدق
فهل يروقك ثوبٌ لاق منظرهُ يومًا اذا كان مصنوعًا من الورقْ
اليك عنى جميلا لا جميل له ان روّح العين ابقى القلب في قلق
هيهات ينطق قلبي بالغرام على حسن اصمّ بلا حس ولا نُطق
اذا اقتصرنا على عشق الجمال فكم لفينس صنمٌ مستوجب العشق
والخمر للعين تحلو منظرا واذا لم تحلُ فعلا فللتهويع والحرق
وكم قدودٍ بدت كالنحل في سمنة وضيقة وهى عظمٌ قام في خرق
هياكلٌ من عظام لا لحوم لها تلحمت بجلابيبٍ ولم تطق

حال الحيوة

الحيوة مصدرٌ يشتقُ منهُ نظام الاكوان الطبيعية . واصل تنبعث منه حركات الكاينات العضوية . اذ بهِ تحفظ الجامدات نواميسها وشرايعها . وتحرس الناميات اشخاصها وطبايعها . فهو التثاقل والتبادل للاجرام السماوية . والنمو والتغذية للاكوان الالية . والحس والانتقال للخلايق الحيوانية . والاشعار والادراك للطبيعة الانسانية فبالحيوة يدخل المتحرك في العلاقة مع المحبطات الاجنبية ويستبضعها اغراضه الحيوية . فبقدر الادراك تتسع الشقة وبمقدار الاشعار تعظم المشقة . ولما كان الانسان جامعًا كل الادراك والاشعار . كان اعظم حامل لاثقال تلك الاثار . وهكذا تكون حياته حيّةً عليهِ . ووجوده عدمًا لديهِ . حتى اذا ما بلغ حدّ الانصرام . راى ذاته خيالا مرّ في ضغث الاحلام . على فراش الاوهام . انما بناء حيوة الانسان . انما يتوقف علي اربعة اركان . وهي العمل . والملل . والصحبة . والامل

العمل

كلٌّ يعمل لحث راحلتهِ . ولكلِ عملٌ على شاكلته . فلما انتقل الانسان من الوحشية الى الانسية . ومن الطبيعية الى الادبية اثبت له ذلك الانتقال . وجوب الاعمال . ونادتهُ الجماعة حيّ على التعامل . فمن لا يوثر ان يعمل لا ياكل . فاندفع كلٌّ الى الخبط في مهنتهِ . والغوص في حرفتهِ . فذهب يعارك الجامدات كل كثيف

ويباشر الصنايع كل خفيف. ويمارس العلاقات كل عليل منقطع ويتاجر بالبضايع كل كليل مبتدع . ويستقصي الموجودات كل دقيق مخترع . وهكذا قد انخرط الجميع في سلك الارتباط . وغرق الكل في لجج الاختباط فكلٌّ طايرٌ على اجنحة الطيش . ليقطع افاق العيش . فترى البعض يشكو الكلل . والبعض يندب الملل . وهذا يتوجع في التعب وذاك يتفجع من الوصب . فاعينٌ تبكي من العسر . وافواهٌ تضحك من اليسر . والزارعون يتحلون بشح الجدب وعليه يأتمرون . او يتبجحون بسح الخصب فيغتبطون به ويتطوبون . والصانعون يستنظرون الطلب فيحمدون الشبع او يذمون السغب . والتاجرون يحشرون البضايع . ويرقبون الطلايع ويعومون في السوق . ويغرقون في الصندوق . ويرصدون افلاك الدواير . ويرتصدون طوالع الدفاتر . فكم اخطأت استهم الحفره . ولم يصب سهمهم الثغره

الملل

وبينا يكون الانسان لاهيًا عن نفسه باعماله . ومشتغلا عن رمسه باشغاله . يداهمه شيطان الملل . ويوسوس في صدره عند كل عمل . وربما يغلب عليه هذا الروح . حتى يغدو نديمه في الغبوق وفي الصبوح . وسميره في الهجر والوصال . ورفيقه في الحل والترحال . فاينما رحل رمح امامه . واياِن حل كان خيامه . وحيثما لفت وقف قدامه . وهكذا يكون الملل المًا في الملذات . وغمًا في

المسرات · وترحاً في الافراح · وفرحاً في الاتراح · فهو حادي الاجل وشادي الوجل · وابن الاعمال · وابو الامال

الامل

واذ يكون الانسان ساقطاً تحت ثقل الملل . وهابطاً في وهدة الوجل . تبسط له الامال يد الخلاص وتلقي له الاوهام حبال المناص فيضجع على سرير الاحلام · ويضرب في وادي الاوهام . فيصعد بفكره من غرفةٍ الي غرفة · و ينتقل من حرفةٍ الي حرفة . ثم يرتقي من صغرى الي كبرى · ومن نتيجةٍ الي اخرى . حتى يبلغ من غناء الي غناء ومن سناء الى سناء · ولم يزل الى ان يرى ذاتهُ مالكاً كل الاشيا · وسلطان كافة الدنيا · وفيما يكون طاير فكره حايماً في تلك الزروه · ومفردا بهاتيك الثروه . ينقض عليه باشق البطلان · ويرجع به الى حيث كان · فيغيب عنه كل خيالٍ · وينغلق دونه مرسح الامال · فكلما ذهب امل · جاء امل . وكلما غنت خيبةٌ رقص وجل · وعز الدهر وجل · وبالامال يعيش الانسان · وبالاوهام تحيى الاذهان ولكل سنٍ مامولات · وعلى كل مامولٍ مقولات · اما الامل فهو تسلية الانسان · وتعزيته في الاحزان والحدثان · وحلاوته عند الزعاق · وغناه يوم الاملاق · ويسرة في العسر · وكسبه في الخسر · وسميره وانيسه · ونديمه وجليسه · ولا تفرط سلسلة الامل · الا في بيت الازل

الصحبة

لما كان ليس يحسن ان يعيش الانسان وحده . اتخذ له امراةً تكون عونهُ ورفده . فيخدمها في العيال . ويستخدمها في البعال . فالمرأة خير الاصحاب . واطيب الاحباب . ولا تطيب الحيوة الا بها . ولا يصحبُ سرور الا باصطحابها . وهي الشريكة في تقويم الحيوة الطبيعية . والرفيقة في تثبيت الحيوة الادبية فاذا كانت صالحة كانت فخرة لاهلها ونعمة لبعلها . واساسًا لدارها . ومركزا لمدارها . وتهذيبـًا لذويها . وتاديبًا لبنيها . وغنىً في الاقلال . وراحة في البلبال . وسترا للطالحات . وكشفًا للصالحات . واذا كانت شريرة انما تكون ذلا لاهلها ونقمة لرجلها . وزلزلة لدارها . وزعزعًا لمدارهـا . وشكا لذويها . وعثرة لبنيها . وفقرا في الغنا . وغما في الهنا . وفضيحة للمعايب ونميمة ومثالب . وهذراً ومذر . وغمزا وشذر . وانتقالا من وحلة الى طمس ومن رذيلة الى دنس . فهى تناجي بارماز الميل . وتحاجي بالغاز الليل . حتى اذا ما جاشت فاجهشت . وبشت فهشت . رجعت مخادعة بلحظ يغزل رموزا . ومخادنة بقلب يحيك نشوزا . فمخفوضٌ ينصب شراكًا . ومقصورٌ يمدُّ شباكًا . فتكون شرَّ الاصحاب . واخبث الاحباب . الا للباغي والطارق . واللاغى والمارق . ومن شان الانسان الميل الى الاصحاب . والولوع بالاصطحاب . ليتأسى في الشده ويستانس في الوحده . على انه لا يستطيع اللبوث على الانفراد . والقرار في الامور الشداد

فمن الاصحاب الصاحب الوفيّ وهذا يكاد لا يوجد لشدة ندارته

فهو الموافي في الشدايد . والموالى في العوايد . والمقترب في الابتعاد . والمصلح في الفساد . والصافح في الذنوب . والسامح في العيوب . والمسعف لدى الاقتضاء . والمعين في روع القضاء . والثابت على كل اضطراب . والراسخ في كل انقلاب .

ومنهم الصاحب الغرضي وهو من يصحب لغرض متى بطل بطلت صحبته وربما انقلب الى عدو مبين . وداء دفين . فيرتد على صاحبه بالاضرار . وباذاعة الاسرار . ليهتك كل ستر مسدول . ويمزق كل حجاب مسبول . فيثلب وينم . ويقدح ويذم . حتى يكون فمهُ مملوًا مرارةً ولعنه . وقلبهُ بتقلب على ضغينة ونقمه . فحذار حذار . وبدار بدار

وقد قيل

عدوك من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرنَّ من الصحابِ
فانَّ الداء اكثر ما تراهُ يكونُ من الطعام او الشرابِ

وربما اعقبت الثقةَ زوال اغراض . وقام جوهر عقب اعراض . فيتلو ذلك صحبة جديدة . وتنشاء صداقة حميده . الى ان ينقلب القلب العديم الثبات . ويغفل الود الكثير السبات

ومن اصحاب الاغراض يوجد المملق . والراهن . والمطرىء والملاسن . والناصح بالاباطيل . والهادي بالاضاليل . والساعى بالخير على قدم الشر . والمهم بالنفع على همم الضر . ومنهم الصاحب البسيط وهو من لا يفي ولا يخون . ولا يهتك ولا يصون . ولا يحب ولا

يبغض . ولا يقبل ولا يرفض . فلا يتقاعس ولا يحفل . ولا ينشط ولا يكسل . ويتوجه حسب البواعث . ويتحادث طبق الحوادث . فلا تهمهُ حضرة ولا معاينه . ولا تمضهُ غيبة ولا مباينه . فهو يصلح المنادمة والمجالسه . والمفاكهة والموانسه . على انه نعم نديم مسامر . وخير جليس محاضر

فهاك حيوة الانسان . وما فيها من الاركان . هذا عدا ما يتخللها من العاهات والاسقام . والهموم والالام - على ان الحيوة هى عرضة المصائب والبلايا . وغرض المتاعب والرزايا . حتى يكاد ان يكون وجود اللذة في عدم الالم . وحصول النعم في زوال النقم . وربما كان اعظم اللذات . طليعة لهجوم الحسرات . ونذيرا يهتف بالمضرات

غرور الحيوة

أهذه حياتي بئس عمري واياي عذاب هموم في عذوبة اوهام
وما هي لذات الحيوة وكلها بكور خطوب او اصائل اسقام
يروم الفتى نيل الرجا كلما ارتجى وطالب معدوم كطالب اعدام
سريع وقوع ظن ان مطيره يدوم ففنى كالسهام من الرامي
فما هو الا الخلدُ يبصر عندما يموت وفي ربع الحيوة هو العامي
اري الناس في الامال غرقي وكلهم سيمضون اشباحا باضغاث احلام
فما هذه الدنيا لدى عين خبرتي سوى مرسح والكل يلعب قدامي
نعم مرسح لكن وراء ستاره تساق البرايا للفنا سوق اغنام
عناصر في دور الوجود تسلسلت فتنحل من جسم لتركيب اجسام
هو الموت يلوي فاه كي يمضغ الملا وفي جوفه لم ينهضم غير اعوام

تسير بنا الايام وهي تضلنا مسير لميع الآلِ بالتايه الطامي
فما خُلق الانسان الا لجعله على هذه الدنيا ملاعب احكام
فتخرجهُ الدنيا ليسعى لها بها خروج بخار السفن من بحره الطامي
ومهما اذاع المرء ضوضاء نفسه فما ذاك الا رعدةٌ بين اكامِ
وليس يعيش المرء الا لنيرهِ ولا يجهدنّ القوم الا لاقوام
يذبُ الفتي عما له بيدَ انهُ يذوب مداساً تحت ارجل ايام
وتحمى من اللثم المليحة وجنة سيأكلها في حفرةٍ دود اعدام
تخالفت الاطوار بين الملا على طريق البلي والكل يجرى بالهام
فذاك اخو بؤسٍ وذا ذو هنًا كذا هناك صفا عرسٍ ونوحٌ هنا دامى
فيا خطةً خطت على كل خاطر سطور ملذات باقلام الام
ويا فلتة قد طيشت كل ذى نهى وهبت باذهانٍ وطارت بافهام
عقولٌ حيارى في الوجود واعين سهارى وارواحٌ سكارى بلا جام
فصبرًا بني حواء صبرًا وانني اقولُ لكم صبرا ولا صبر قدامى
حياتكمُ موتٌ زوامٌ وموتكم حيوةٌ وما اعمالكم غير اثامِ
وما حظكم في الارض غير العنا وما حقايقكم الا عوارض اوهام
صحبتُ بني الدنيا فلم ارَ عندهم سوى نفق ساعات على جمع ارقام
وفي صحبة الارواح مدرسة يرى جهولا سوى فهامها كلُّ فهامِ

حال الموت

الموتَ خاتمة كل الاحوال . ونهاية الاعمال والامال . فلم تزل

الفواعل الطبيعية . تصادم مجال الحركة العضوية . ولم تبرح الاكوان الخارجية . تعارض مجرى الاعمال الحبوية . حتى ينقطع الواصل . ويتفرغ الحاصل . اذ يكون الظاهر . عاث بالباطن . وعبث الراحل بالواطن . فينحط الركن العضوي . ويندك الوطد الحيوي . حتى اذا ما تغلَّب التحليل على التمثيل - وترجح التفصيل على التوصيل . بطلت عوامل الاحساس . وهبطت صواعد الانفاس . وسكنت ضجات الافكار . وسكنت حركات الابصار . ولم يعد في الذهن تمثال ولا في اللسان مقال . اذ يبرقع العدم محيًّا الوجود . ويطفي الخمود . اعين الوقود . ويضرب السكون هام الحراك . ويصفع السدَر قزال الادراك . وهكذا تستولى ظلمات الحنوف . وتجدع شوامخ الانوف . فلا سيف هناك ولا نجاب . ولا تبهنس ولا اعجاب حيثما يبتلع الكل فم القبر الفاغر . ويهضم الجميع جوف التراب الداغر . فهناك تتخذل الروّوس المترفيه . وتعفر الوجوه المتنفيه . وتغور العظمات . وتمور الكرامات . ويتمزق البرفير والارجوان . وينكسر كل قضيب وصولجان . وتتساقط الاكاليل والتيجان . فترى الارامس تنطبق على القصور . والسرادق تنطوي في القبور . والتابوت . يحمل المعركات . والدركات تعلو على الدرجات . هناك تسكت ضوضاء النفوس . وتخرس رنات الكوّوس . وينتثر عقد الاعمال . وتنفرط سلسلة الامال . وترد جوامح الجوانح . وتصد طوامح الجوارح . هناك يروى الجمود عن الهيبة . وتضحك على الشهود افواه الغيبه .

وتبكي على المطامع عيون الخيبه . هناك يقبح منظر الجمال . وينقص كل كمال . فيسيل على ورد الخدود كافور المنون . ويأخذ سكون الموت بحركات العيون . وينشمر الافق . وينشدق الالى . ويكفهرّ الاسنى . حتى يعود اللطيف كثيفًا . والظريف مخيفًا . والانيس وحشيًا . والجليس سئيًا . والمعشوق مهجورًا . والصديق مغدورًا هناك تسلو العشاق . وينفر المشتاق . ويتقاعس الطالب . ويقشعر الراغب . ويسبك الكل في قالب النسيان . ولا يعود يذكر الانسان وهكذا يسترجع الجماد الى حوزته . ما استعاره الحيوان في عوزته

خاتمة الكتاب

في الحقيقة

الحقيقة معلومٌ وجودي . او تصديقٌ تصوري . وكلُّ حقيقة لا بدَّ من كونها اما اولية او قضية فالاولية هي حكم لا يحتمل الرد . والقضية هي حكم يحتمل القبول او الرد . فاذا قلنا القمر جرمٌ انما يكون ذلك اولية لعدم احتماله الرد . واذا قلنا القمر مسكون انما يكون ذلك قضية لاحتماله الرد اذ لا يوجد حجة قاطعة

والحقيقة تنقسم الى طبيعية وادبية . اما الحقيقية الطبيعية فهي امر ثابت الوجود في نفس الطبيعة . او متجددٌ بين حوادثها كثبوت وجود الشمس وتجدد حصول الفصول . اما الحقيقة الادبية . فهي امرٌ وهمي يوخذ على التصورات العقلية وحوادثها . او عن شرايع

النظام البشري . كحقيقة نفع العلم وضرر الجهل

والحقيقة الطبيعية تنقسم الى اصلية وفرعية . وفاعلية وانفعاليــة ولازمة ومتعدية . وذاتية ونسبية . وآلية وعضوية . وجوهرية وعرضية

والحقيقة الادبية تنقسم الى وجودية . وعدمية . واصلية . وفرعية . وحقيقية ومجازية

في الحقيقة الطبيعبة الاصلية

ان الحقيقة الطبيعية الاصلية . هى معلوم يستمد حكمهُ من اصله الطبيعي وذلك كما اذا قلنا . المغناطيس يجذب الحديد والهواء يحمل الصوت . والعصب آلة الحس . فان جذب المغناطيس للحديد وحمل الهواء الصوت والعصب للحس هى حقايق طبيعيه اصليه لعدم استمداد احكامها من غيرها فتامل

في الحقيقة الطبيعية الفرعية

ان هذه الحقيقة هي عكس المتقدمة لكون حكمها مستمداً من غيرها . اى من حقيقه اصليه . وذلك كما اذا قيل . لا تميل الابرة الا الى الجنوب . ولا صوت في عدم الهواء . واذا انفلج عضوٌ بطل حسهُ فان هذه الحقايق تدعى فرعية . لكون احكامها مستمدة او متفرعه من الحقايق الاصليه المتقدمه . وهى وجود كثرة المغناطيس في القطب الجنوبي وكون الهواء يحمل الصوت والعصب آلة الحس فتبصرّ

في الحقيقة الطبيعية الفاعلية

الحقيقه الطبيعيه الفاعليه . هي معلوم متى ذُكِرَ احدث في الذهن

صورة معلوم طبيعي اخر لوجود علاقه فعليه بينهما كما اذا قيل الحرارة تذيب او الخمرة تفرّح فان ذلك يستوجد في الذهن حصول صورة جسم يذوب ونفس تفرح · على ان الاذابه والتفريح افعال تستوجب لها مفعولات يدركها الفهم من طبيعه الفعل نفسه وقس على ذلك

في الحقيقه الطبيعيه الانفعاليه

ان هذه الحقيقه هي عكس المتقدمه · لانها معلومٌ متى ذُكِرَ اقام في الذهن صورة حقيقيه فاعليه لوجود تلك العلاقه الفعليه نفسها وذلك كما اذا قيل · الارض مستنيره فان ذلك يحدث في الذهن صورة الجرم المنير لها · وهكذا في قولك الثمر ماكول والزهر مشموم ونحو ذلك

في الحقيقه الطبيعيه اللازمه ·

ان هذه الحقيقه الطبيعيه اللازمه هي معلومٌ يستقر حكمه في نفسه بدون ان يتعدى الى غيره لانقطاعه عن كل صلة اجنبية · كقولك جبلٌ عالٍ وادٍ عميقٌ · وماءٌ جارٍ · وصخرٌ جامد · فكل ذلك حقايق طبيعيه لازمه · لا يدخل في قيامها اشياء اخر واحكامها مستقرة فيهـــا

في الحقيقه الطبيعيه المتعديه

ان الحقيقه الطبيعيه المتعديه هي معلوم يدخل في حكمه امور اجنبيه عنه · بحيث لا يمكن قيامه بدون اتصاله الى غيره وذلك اما باداة او بغير اداة · فالحقيقه المتعديه باداة هي كقولك السحاب مخيمٌ ·

والنهر حايلٌ . والجذب وسيطٌ . فان تخييم السحاب يستوجب اشيا يقوم عليها ويتم باداة الاستعلا . وهكذا النهر الحايل يقتضى موضوعات يحول بينها ويتم باداة الفصل وكون الجذب وسيطا يلزم كونهُ واسطه تجمع الاجسام المتفرقه ويتم ذلك باداة ذهنيه وهى الربط او الضم . وعلى ذلك تعرف كل حقيقه متعديه بالاداة وما يتعدى بغير اداة اي رأساً هو كقولك سم قاتل فان القتل يتوجه من الفاعل الي المفعول راساً بغير واسطه فتامل

في الحقيقه الطبيعيه الذاتيه

ان الحقيقه الطبيعيه الذاتيه هى معلوم ياخذ حكمهُ من ذاته لا بالنسبه الى غيره . كما اذا قيل الارض كرويه فان الحكم بكرويه الارض قد اخذ من ذات شكلها . من دون وجود ادنى نسبه

في الحقيقه الطبيعيه النسبيه

ان هذه الحقيقهُ هى عكس المتقدمه . لانها معلوم ياخذ حكمهُ بالنسبه الى غيره . وذلك كقولك اشرقت الشمس واغربت . فانَّ شروق الشمس او غروبها انما يتم بالنسبه الي حركه الارض على محورها بحيث لولا هذه الحركه لما حدث شروق ولا غروب . لكون الشمس تعتبر ثابته على مركز دايرة البروج . وما يدور من الشرق الى الغرب الا الارض علي محورها . ولذلك فالمسير اليومي للشمس انما هو حقيقه طبيعيه نسبيه وقس علي ذلك

في الحقيقه الطبيعيه الاليه

الحقيقه الطبيعيه الالية هى كل معلوم يحتوي في طبيعته عمل الالات الصناعيه . وهذه الحقيقه تقوم اما بالاسناد او باضافه السبب الى مسببه او بنعته به او بغير وجوه . كما لو قيل الكهرباء ممزقة او زلزلة كهرباء . او تكسير كهرباءى . فلما كانت الكهرباء تحوي في طبيعتها هذه الاعمال الالية . وهي التمزيق والزلزال والتكسير . كان كل من تلك الامثال حقيقه طبيعيه الية

في الحقيقه الطبيعيه العضويه

ان هذه الحقيقه هي كل معلوم يوخذ من حصول موثرات وتاثيرات بين الطبايع العضويه وذلك كما اذا قيل الخمر مهيج . والافيون مسكن . والنور منبه . فان كل ذلك تراه حقايق طبيعيه عضويه . ماخوذة مما يشاهد من تاثير طبيعة الخمر على طبيعه الاعضا بالتهيج وهكذا الافيون والنور بالتسكين والتنبيه . وعلى ذلك تجرى كل حقيقه طبيعيه عضويه اما بالاسناد كقولك الخمر مهيج او بالاضافه كقولك تسكين الافيون او بالوصفيه كقولك تنبيه نورانى او بغير وجوه

في الحقيقه الطبيعيه الجوهريه

ان الحقيقه الطبيعيه الجوهريه هى كل شيء يقوم في ذاته بدون ان يكون عارضًا عن غيره . وذلك كما اذا قيل . هذا ذهب . فان الذهب جوهر قايم في ذاته غير عارض عن شيء اخر . وهكذا في قولك انسان . وحيوان . وشجر . ونحو ذلك

في الحقيقه الطبيعيه العرضيه

ان هذه الحقيقه هى كل امر يعرض عن غيره . ولا يكون موجودًا بذاته فيكون عكس المتقدم . وذلك كالثقل . والبرودة . والظلمة . فان الثقل ليس له وجود ذاتى في الطبيعه بل هو امر يعرض عن جاذبية الارض للاجسام التى على سطحها . وهكذا البرودة والظلمة . فالاولى تعرض عن ذهاب الحرارة . والثانيه عن ذهاب النور . ولذلك فالثقل والبرودة والظلمة هى حقايق طبيعيه عرضيه

كلام على ما تقدم

لما كان مدار الحقايق الطبيعيه يقوم على المعلومات الوجودية الخاضعه للادراك الحسي والعقلي . كانت منزلتها اعلى من منزلة الحقايق الادبية التي لا تدور الا على التصديقات التصورية الخاضعة لاحكام العقل المفوي وارهامه بدون علاقة مع احكام الحس المعصوم . وهكذا فالحقايق الطبيعيه تشتمل على الصحه والقبول بديهيًا غير محتمله ما تحتمله الحقايق الادبيه من النضال والجدال والقبول والرد . فلا يسع العين انكار وجود النور . ولا تحتمل الاذن جحد رنين الاصوات . ولا يمكن الشم رفض وجود الروايح . ولا يطيق الذوق نفي الطعم . ولا يستطيع اللمس جهل الملموسات . ولذلك فاصحاب الحقايق الطبيعيه لا يختلفون في احكامهم الا عرضيًا لانهم لا ياخذون احكامهم الا من طبيعة المحكومات الراهنة . ولا يقبلون حقيقةً ما لم تقم لهم الحجة على صحتها من نفس طبيعتها . ولا يبنون

براهينهم الا علي المشاهدة والعيان فتكون كل قضاياهم اوليات اساسية بحيث لا يجفلون اصلا بما تحتفل به تصورات العقل وتبتدعه اغراض الاوهام

ويدخل في مبحث الحقيقة الطبيعية كل الحقايق الحسابية والهندسية والمنطيقية والفوق الطبيعية لثبوت اصولها ورسوخ قواعدها وصدق نتايجها المطردة فانه يستحيل الا يصدق . قولنا ثلاثة في ثلاثة تسعة وقولنا حاصلا مضروب فيه متساو متساويان في خارج قسمتهما عليه ومتناسبان . وقولنا حاصل ركني الوسط يعادل حاصل ركني الطرف في النسبة الاربعية الاركان . وقولنا في الهندسة منفرجة وحادة تعدلان قايمتين . والمنحي يصنع قوس دايره والاقطار المارة من المحيط في المركز هي متساويه . ومن كل ضلع معلوم وزاوية معلومه يخرج مجهول وقولنا في المنطيقية المتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان . وفي الفوق الطبيعية الله موجود والنفس بسيطة وكل الحقايق الدينية المدروجة في الوحي الصادق والمسنودة اليه فكل هذه الحقايق لما ان تدخل في مقام الحقايق الطبيعيه لاشتراكها معها في الثبوت والرسوخ والصدق

في الحقيقة الادبية الوجودية

ان الحقيقه الادبية الوجودية هي تصديق تصوري يستنتجه العقل من تصورات يستفيدها من الحوادث المخبورة والمسموعة وذلك كحقيقة نفع العلم وضرر الجهل . فان تصور العلم المستفاد من الخبرة

او السماع وتصور النفع المستفاد منها ايضاً يطبعان في الذهن تصوّر علاقة ادبية تضم النفع الى العلم ضم المعلول الى العلة . وهكذا يحكم العقل بكون العلم نافعاً وبكون حكمهُ هذا حقيقة وجودية ادبية . فقولنا حقيقه انما هو لكون نفع العلم صحيحاً . وقولنا وجودية . انما هو لكون هذا النفع موجودا وقولنا ادبية انما هو لكون هذه الحقيقه قد تولدت تصوراتها تولداً وهمياً غير مشتمل على تماثيـل حسية نظير الحقايق الطبيعيه

في الحقيقه الادبيه العدميه

ان حصول هذه الحقيقه هو عين حصول الحقيقه المتقدمه ولكنها تختلف من جهة كونها ماخوذة عن حوادث كاذبة غير حقيقيه . وذلك كحقيقه ظلم الدهر واصابة العين والارتباط ما بين اعمال الانسان وحركة الفلك وزوس اليونانيين وابو هول المصريين . وبرهمة الهند وما شاكل ذلك . فان كل هذا كان يعتبر عند اهلهِ كحقايق وجودية صحيحة . مع انهُ عدميٌّ لا اصل له . فان الدهر كلمةٌ لا يوجد لها معنى لعدم دلالتها على شي وجودي لان الدهر ليس شيئاً . وهكذا ظلمهُ . وكل الحوادث التي ينسبها الناس اليه . انما هم خليقون باستحداثها . فلا دهر الا اعمالهم وشرايع هيئتهم وهكذا في اصابه العين وهلمّ جرا . فان العين موضوعه للبصر لا للاصابه . والفلك للازمنة والاوقات لا للسعد والنحس وزوس وابو الهول وبرهمه الهةٌ لا وجود لها وربما كانوا بشراً تالهوا على بشر

في الحقيقة الادبية الاصلية

ان مدار هذه الحقيقة يتوقف على مباد واوضاع تنشاء عن احكام الاتفاق او صواب العقل وذلك كقولك في الوضعيات الكل اعظم من جزئه ومساوي المساوى مساوى . وكقولنا في الادبيات . كل لسان بانسان . وكل حال تزول فالمثلان المتقدمان هما حقيقتان ماخوذتان عن صواب العقل واصليتان لكونهما منشاء حقايق فرعية كثيرة . والمثلان المتاخران هما حقيقتان ماخوذتان عن احكام الاتفاق . واصليتان لكونهما مقياس عدد وافر من الحقايق الادبية وقس على ذلك

في الحقيقة الادبية الفرعية

ان هذه الحقيقة تاخذ صدورها من الحقيقة المتقدمة لانها تتفرع عنها وذلك كقولنا . النهر جزء من البحر . فالبحر اعظم منه والحيوان كليٌّ للانسان فهو اعظم منهُ وزيدٌ مساوٍ لعمرو وعمرو مساوٍ لبكر فزيد مساو لبكر . وفلان يتكلم لسانين فهو يعدل انسانين . وحال زيد في نعيم او في شقا فهي تزول فان كل ذلك يدعى حقايق ادبية فرعية لانهُ قد تفرع عن الحقايق الاصلية المتقدم ايرادها

في الحقيقة الادبية الحقيقية

ان الحقيقة الادبية الحقيقية هي التي يُعبَّر عنها بالاسناد الوضعي الحقيقي . وذلك كما اذا قلنا . الصدق ثابتٌ والكذب زايلٌ والقدح شرٌّ . والمدح خيرٌ وزيدٌ شجاعٌ وعمروٌ جبانٌ فجميع هذه الامثال

هي حقايق ادبية حقيقية اذ يعبّر عنها بكلام وضعي لمعانيها . لان اسناد الثبوت الى الصدق هو اسناد حقيقي . وهكذا الزوال الى الكذب والشر الى القدح والخير الى المدح والشجاعة الى زيد والجبانة الى عمرو وقس على ذلك

في الحقيقة الادبية المجازية

ان هذه الحقيقة هي عكس المتقدمة لانها تقوم بالاسناد المجازي اي بكلام غير موضوع لمعناه . وذلك كما اذا قيل . الصدق غالب والكذب هارب . والقدح جلاد . والمدح صديق وزيد اسد وعمرو ارنب . فان كل ذلك يدعى حقايق مجازية لاشتمالها على الاسناد المجازي بوجود وجه معنوي بين ركني الكلام . كالوجه الموجود بين الصدق والغالب وهو القوة . والوجه الموجود بين الكذب والهرب . وهو الضعف . وهكذا فتل الصيت بين القدح والجلاد والموالاه بين المدح والصديق وكذلك حصول وجه الاستعارة المجازية بين زيد والاسد وهو الشجاعة وبين عمرو والارنب وهو الجبانة . وعلى ذلك تجري كل حقيقة تتضمن مجازًا اسناديًا او استعاريًا او مرسلًا فتامل

ويدخل في هذه الحقيقة كثير من الحقايق التي تكون طبيعية لفظًا وادبية معنى . او طبيعية المادة . وادبية الصورة وذلك كقولي من قصيدة مطلعها

دارت عليّ من الصفاح كؤوسُ وبدت لديّ من الرماح شموسُ
بابي كؤوس هوىً نطوف بها على قلبي شموس دمىً لمن تقوسُ

الى ان اقول

قسي فؤادك ما استطعت فان لي سحرًا يقودُ زمانــهُ ويسوسُ
هبه لفؤادٌ من حديدٍ باردٍ ابدًا وذاك السحر مغناطيسُ

فهنا نرى في البيت الاخير حقيقة كل الفاظها طبيعية محضًا . وادبية معنى لان المراد هو عصاوة الميل المعبر عنها بفؤاد من حديد والاستعطاف المعبر عنه بسحر من مغناطيس اى حسن البيان والوجه في هذه الحقيقة . هو الشبه الحاصل بين الحديد والقساوة وبين المغناطيس وحسن البيان . على انه كما ان المغناطيس يجذب الحديد هكذا حسن البيان في التكلم يجذب الخواطر القاسيه

كلام على ما تقدم

انه لما كانت الحقايق الادبية مشيدة على التصورات والاوهام لو على الصواب والاستحسان . او على الحوادث الاجتماعية والمبادي العرفية . كان جوفها خاضعًا لاحكام العقل عليها وتصرف الزمان بها . ولذلك كان اغلبها يتقلب حسب تقلب اهواء البشر ويتغير حسب تغير الظروف وينتقل تبعًا لتنقل الازمنة والاجيال . وهكذا فاننا نرى كثيرًا من الحقايق الادبية التى كانت تعتبر قديمًا كحقايق صحيحة راهنة صارت تعتبر اليوم كخرافات واراجيف . وكذلك يوجد من هذه الحقايق ما يختلف اعتباره بين البشر اختلاف اجناسهم ونواميسهم واذواقهم . ومن هذه الحقايق ما يختلف مقامه اختلاف عقول الافراد باحكامها . فما يراه الافرنج صحيحًا يراه العرب عليلا ربما

يراه الفرس صادقًا يراه الغول باطلا · وما يحكم عليه زيدٌ بكونهِ صوابًا يحكم عليه عمروٌ بكونه خطاء · وهكذا فاننا نرى عددا وافرًا من هذه الحقايق الادبية . قد صار سببًا لكثير من الحروب بين البشر · والفتن والقلاقل والبلابل · والاضطهادات حتى ولكثير من الانقلابات والدثار والدمار

وطالما نرى بين اصحاب الحقايق الطبيعية واصحاب الحقايق الادبية نزاعًا وقراعًا لا يفتران · على ان كلاًّ من الفريقين يكافح ويقارع الاخر باسلحة حقايقهِ ليستظهرها و يستنصرها فهذا يهجم بقوات الطبيعة والهيولى · وذاك يهجم بقوى العقل والصواب · هذا ينقض باجنحة المشاهدة والمعاينة وذاك ينقض باجنحه الاستقراء والاستنتاج وخاصة حزب الحقايق العدمية · فان ايقاد نيرانهم ضد حزب الحقايق الوجودية لا يفتر شرّاره · ولا يخبو اواره · ولا يزالون ساعين في تدمير معاهد الحقايق الوجوديهِ وتهبيط كل مشاداتها لايجاد المعدومِ واعدام الموجود وحسبنا شهادة كل التواريخ على ذلك

بيان

انا على ما انا من الخُلقِ باقٍ علي مذهبي وفي طرقي
اصونُ عرضى وان نطقتُ فذا بالحقّ فالحقُّ لى يفي ويقي
ما لى عدوٌّ سوى الكذوب فلم يزل عدوا لصاحب الصدُقِ
لا اكذب الله ان لى شيمًا تحوى فمى من شوايب الملق
فلا كبيرٌ سطا عليّ ولا يدٌ لها منةٌ على عنقى